كتاب سلوان المطاع في عدوان
الاتباع تاليف محمد بن ظفر
عفى الله تعالى
عنه بمنه
وكرمه
امين

BIBLIOTHÈQUE NATIONALE
R. F.
MANUSCRITS

Suppl. ar.
Nº 536

Suppl. ar.

كتب اصول مجمع الفنون جزو من الطظرخانيه

Volume de 112 Feuillets
Le Feuillet 109 est Mutilé
20 Décembre 1872.

ARABE
3503

بسم الله الرحمن الرحيم رب يسر يا كريم

قال الفقير عبد الله الغني به عما سواه محمد بن محمد بن ظفر عفى
الله عنه ان شكر الله سبحانه لاسنى الملابس الفاخرة وان حمده
لاعود بخير الدنيا والاخرة فالحمد لله جاعل الصبر للنجاح
ضمينا والمحبوب في المكروه كمينا الذي ضرب دون اسرار
الاقدار حجابا مستورا وقضى ان الخير على الفطن محجرا
محجورا واوطا سبحانه للمستسلمين لمشيانه مهودا وثيرا
وانطا المتبرمين لقضاياه جوادا عثورا وقال سبحانه وعسى
ان تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وصلى الله على المرسل
شاهدا ومبشرا ونذيرا وداعيا الى الله باذنه وسراجا منيرا
سيدنا محمد المصطفى وسلم تسليما كثيرا وبعد فان مما
افضى به اليه اضطرار الاغتراب واتيان الاكتياب
ان اظفرني الله تعالى ولله الحمد بمواخاة معقل مترات
السادات ومسبل انفس الحسدة حسرات سيد الانام
السادة وقايد القادة ابي عبد الله محمد بن ابي القاسم علي بن
علوي القرشي بارك الله له فيما الهمه لسببه وكان وليه وحسبه
ولو شف بشرك منزلته نعمل للبقا لا للفنا وجمع للجود
لا

لا للاقتنا رجا الله تعالى لا للثنا واخا للتعاون على البر والتقوى
لا للتهافت في هوا الاهوا وزان الرياسة بنفس لا تضيق بنازلة
ذرعا ولا تصغي الى الوشاة سمعا ولا تدنس بطمع طمعا وحلم
لا يرفع الغضب له راسا وحزم لا يخاف الا ما له معه باسا فالحمد
لله الذي اباحني من اخايه حمى منيعا وحرما امينا ومرتعا مريعا
وردا معينا شعر

نحن بقربه فيما اشتهينا واحببنا وما اخترنا وشينا
يقينا ما نخاف وان ظننا به خيرا اراناه يقينا
نميل على جوانبه كانا اذا ملنا نميل على ابينا

فاقسم لولا ان الشكر عقد شرعي وحق مرعي لا قررت عينه بطي
ما نشرت والتورية عما اليه اشرت اذ كان وقاه الله بعده
ولا ابقاني بعده يرى ان الشكر في وجوه تدوب والمدح من
خواص اوليايه ذنوب فلا زالت يد التوفيق له ناصرة وحظ
النوايب عنه قاصرة ومكانه العلايه ومكايد الاعدا به
داخرة امين قال ولما كانت الهدايا تزرع الحب وتقطع
احببت ان اهدي اليه هدية فايقة رايقة تكون عنده
نا نفقه ونقدره لايقه فلم اجد ذلك الا العلم الذي شغفه

حبا والحكمه التي لم تزل لها صبا والادب الذي استودعه مولودا
او كسبا واستعمره طبا وقلبا فاتحفته باساليب الغايه
في احكام رايه وهو كتاب ضمنته احد عشر اسلوبا تفضي
بسالكها الى العلم بالظاهر والمستنبط من قول الله تعالى
يا ايها الذين امنوا اذا قمتم الى الصلاة فاغسلوا وجوهكم وايديكم
الى المرافق وامسحوا بروسكم وارجلكم الى الكعبين ثم شفعته بالمسنا
لاستنشاق المعونة والاشراك وهو كتاب ايه مسايل
دبك التاليفين الشريفين مشفوعة بنجب براهينها ثم
عززتها بدرر الغرر وهو كتاب انتظمت به درر ابنا انجبا
الابنا فاودعته منها ما عز مطلبه وبهرت حكمته وحسن
ادبه ثم ذيلت بكتابي هذا وهو كتاب عمدت فيه الى
امثله استاثر خواص الملوك ببضاعتها وسعتهم الغيره عليها
من اذاعتها فتوسعت بالتعبير بالفاظي والتحبير بعلي
لها والتفنن بقوي فطنتي فيها توسعا لا يحصره شرع ولا ينبوا
عنه سمع حتى اذا عادت احملتها بدورا لايعو واتيت ردها
يانعة نفست في صورتها ارواح الاخلاق الزكيه وكسوت
حسومها حلل الاداب الملوكيه وتوجت راسها بتيجان الهمم
الابية

الابيه وقلدت عواتقها سيوف المكايد الحربية وصدرتها باي
من التنزيل المحكم واحاديث عن النبي المصطفى صلى الله عليه
وسلم الى ما يلي ذلك من منثور الحكم وموزونها وابكار الاداب
وعونها فبرزت روضة للقلوب والاسماع ورياضة
للقلوب والطباع وسميتها سلوان المطاع في عدوان
الاتباع فالسلوان جمع سلوانه وهي خرزة تزعم العرب
ان الما المصبوب عليها اذا شربه المحب سلا قال الراجز
لو شربت السلوان ما سليت ما لي غنى عنك وان غنيت
فهو خمس سلوانات السلوانة الاولى في التفويض
والثانية في التاسي والثالثة في الصبر والرابعة في الرضى
والخامسة في الزهد وانا ارغب الى الله تعالى في الامداد
والسداد والارشاد الى نفع العباد فبه الحول والقوه
وله الطول والمنة

السلوانة الاولى

وهي سلوانة التفويض قال ربنا تقدس اسمه فعسى ان
تكرهوا شيا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا وقال تقدس اسمه
وعسى ان تكرهوا شيا فهو خير لكم وعسى ان تحبوا شيا وهو
شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون فاستوقف من عقل امره

عن الاقتراح عليه وافهمهم ما يرضى من التفويض اليه والعاقل
الاقتراح على العالم بالصلاح ووجهه افهام المبدء بالتفويض
من هاتين الايتين انه اذا كان المكروه قد ياتي بالمحبوب
والمحبوب قد ياتي بالمكروه فالاولى بذي البصيرة ان لا يامن
المضرة بالمسرة ولا ييئس من المسرة بالمضرة فيستخير الله تعالى
ولا يختار عليه وهذا هو التفويض المستمد من الله سبحانه صرف
البلاء واللطف في مكروه القضاء وبهذا عامل الله سبحانه مومن
ال فرعون حين فوض امره الى الله تعالى وذلك ما بلغنا
انه كان من ذوي قرابة فرعون وخواص اصحابه وكان وزير
فرعون وبطانته قد فطنوا لايمانه واتباعه موسى عليه السلام
فاطلعوا فرعون على ذلك فلم يصدقهم وعطفته الى ذلك
المومن القرابة ولما ظهرت ايات الله سبحانه على يد موسى عليه
السلام حضر فرعون جمع فرعون بطانته ووزراه وفيهم
ذلك المومن فشاورهم في امر موسى عليه السلام وجمع
السحرة لمقاواته وكان راي فرعون معاجلة موسى بالقتل
ولذلك اخبرنا ربنا تقدس اسمه فقال ارجه واخاه وارسل
في المداين حاشرين ياتوك بكل سحار عليم وقال فرعون

ذروني

ذروني اقتل موسى الاية ولما اطلع وزرا فرعون على راية في
موسى عليه السلام تغير صبره وضاق صدره فقال ما اخبر
الله به عنه اتقتلون رجلا ان يقول ربي الله وقد جاكم بالبينات
من ربكم ثم انه استقال وراجع البقيه والحذر والتورية
فقال ما اخبر الله به عنه وان يك كاذبا فعليه كذبه
وان يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم فلما سمع فرعون
مقالته غضب وامر به فسجن ثم شاور بطانته ووزراه
في امره فاشاروا ان يبسط العذر عليه ثم يقتله ليرتدع
من كان على مثل رايه فكره ذلك فرعون وعطفته عليه
القرابه وامر وزراه ان يصيروا الى ذلك المومن فيعظوه
وينصحوه ويامروه بمراجعة ما كان عليه من الطاعة ويخوفوه
عاقبة خلافه ففطنوا ذلك فلما سمع المومن مقالتهم دعاهم
الى الله عز وجل وذكرهم بما عاينوه من الايات وحذرهم
زوال نعمة الله تعالى وحلول مكره بهم فكان منه اليهم
معنى ما اخبر الله عز وجل به عنه من قوله يا قوم اني اخاف
عليكم مثل يوم الاحزاب الاية وقوله يا قوم اني اخاف
عليكم يوم التناد الاية وقوله ولقد جاكم يوسف من قبل

بالبينات الاية وقوله مالي ادعوكم الى النجاه وتدعونني
الى النار الى قوله فستذكرون ما اقول لكم وافوض امري
الى الله ان الله بصير بالعباد فعاد القوم الى فرعون داحضين
عن المومن بثبوته على المشاققه والمعانده والمعصية لفرعون
وان النصح لم يزده الا تماديا على امره فساء ذلك فرعون وشق
عليه وخلا بنفسه مفكرا فيما يفعله فيه فانتبه ابنته فسالته
عن امره فاطلعها عليه فقالت عندي الفرج مما انت فيه
فلا تعجل على حاجتك وذوي قرابتك فانه على ما تحب نكتة
لما راى ان موسى عليه السلام قد امتنع بالسلطان الذي في
عصاه علم ان قتله غير ممكن من محادثته ومداخلته وقتاله
غيلة فكلما رايت او سمعت فانما هو مكر موسى وما منعه ان
يطلع وزراه على ذلك حين ذهبوا اليه الا انهم اهل نميمة
وحسد وبغي لم يطيعوا على مثل وفاته ونصحه ففرح فرعون
بمقالتها والقى الله سبحانه وتعالى في نفسه تصديقها وقالت
ان ماشطة امراه فرعون هي التي امرتها بذلك فاحضر فرعون
ذلك المومن واعتذر اليه واكرمه وقال له قد علمت
ما انت قاصد اليه وساع فيه فقل ما بدا لك ان تقول وافعل

ما بدا لك ان تفعله فلست اتهمك قال الله تعالى فوقاه الله سيئات
ما مكروا فهذه الوقاية هي ثمرة ذلك التفويض قال ربنا تقدس
اسمه وحاق بال فرعون سوء العذاب اي حاق بهم ما ارادوه بذلك
الرجل المومن من التعذيب وان كان عذاب الاخره لا يجتمع
مع عذاب الدنيا الا في التسمية وهذا كقوله تعالى ولا يحيق
المكر السيء الا باهله واعلم رحمك الله واياي ان حقيقة
التفويض التسليم لاحكام الحكيم وهو الذي امر الله به
المصطفى ونطق به صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى قل لن يصيبنا
الا ما كتب الله لنا هو مولانا وعلى الله فليتوكل المومنون
فاس التفويض والباعث عليه انما هو الاعتقاد به لا يكون
من الخير والشر الا ما اراد الله تكوينه ولا يصح التفويض ممن لا
يعتقد ذلك ويتدين به وقد بالغ النبي صلى الله عليه وسلم
في التصريح به والنص عليه لقوله لعبد الله بن مسعود ليقل
همك ما قدر ياتيك وما لم يقدر لم ياتيك واعلم ان الخلق
لو جهدوا ان ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم يقدروا واحد
ذلك فقوله صلى الله عليه وسلم ليقل همك امر التفويض وقوله
ما قدر ياتيك الى اخر الكلام بيان للعلة التي من اجلها فوض

ويسلموا امرهم الى الله عز وجل ونحو ذلك مما روينا من مسند
مسلم ان النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تنهى هو بن في كلام قاله
له وان اصابك شي فلا تقل لو فعلت كذا ولكن قل قدر الله وما
شا فعل فان لو تفتح عمل الشيطان لم تستدل على التفويض
الى الله تعالى والتسليم لاموره ونهي عن قوله لو كانت لتنافي
التفويض وتقتضي الاعتراض على قدرته والتعاطي لدفع مشيته
ومما رايته من صحيح مسلم عن البرا بن عازب ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال اذا اخذت مضجعك فتوضا وضوك للصلاة
ثم اضطجع على شقك الايمن ثم قل اللهم اني اسلمت نفسي
اليك ووجهت وجهي اليك رغبة ورهبة اليك لا ملجا ولا منجا
منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت ورسولك
الذي ارسلت لحدث تجمع في التفويض معارضه القليل طبيبه
توجب تعذيبه انما الكيس الماهر من استسلم في قبضه القاهر
اذا كانت مغالبة القدر مستحيله فما انتفاع نفوذ الحيله اذا
التبست المصادر فوض الى القادر ان من الدلالة على ان الانسان
مصرف مغلوب وموثر بالذنوب ان يتقلد رايه في بعض الخطوب
ويعمى عليه الصواب المطلوب فاذا كان ذلك فان تدميره في تدبيره
واشتباه

6

واعتيا لمبي احتياله وهلكته في حركته قيل كان الحجاج بن
يوسف اذا تعارضت اراوه في خطب من الخطوب انشد
دعها سماويه تجري على قدر لا تفسدنها براي منك منكوس
وقلت في ذلك ايضا
ايا من يعول في المشكلات ماوراه وما دبر
اذا اشكل الامر فابرا به الى من براسه مام امر
فكن بين عطف يقيك المخوف ولطف يهون ما قدر
اذا انت تجهل عقبى الامور وما لك حول ولا مقتدر
فلم لا العني وعلام الاسى وبم الحذار وفيم السهر وقلت ايضا
يارب مغتبط ومغبوط بين يديه هلكه
ومنافس في ملك ما يشقيه في الدارين ملكه
عِلم العواقب دونه ستر ابى يرام هتكه
ومعارض الاقدار بالآرا في الحال طنتكه
لكنما محض اليقين وريف الشبهات سبكه
تفويضه توحيده وعناده المقدور شركه
روضه رايقه ورياضه فايقه
قيل لما بلغ الوليد بن يزيد بن عبد الملك تداوعر عليه الصدور

وتردد عند القلوب واستحاس عليه اليمن ونازعه في املاكه سائر عماله
في هلكه استوحش من بطانته واحتجب عن سماره فدعا في عشيه
من عشايا وحشته خادما له فقال انطلق متنكرا وقف في بعض
الطرق وتامل من يمر بك من الناس فاذا رايت كهلا رث الهيئة
والملبس يمشي مشيا هونا وهو مطرق فسلم عليه وقل له في اذنه
ان امير المومنين يدعوك فان اسرع الاجابة فأتني به وان تلكا
او عارض واستراب فدعه واطلب غيره حتى تاتي برجل على
الشرط الذي ذكرت لك فانطلق الخادم فاتاه برجل على الشرط
فلما دخل الكهل على الوليد بن يزيد حياه بتحية الخلافة وقام
فامره الوليد بالدنو منه والجلوس وامهله الى ان ذهب روعه
وسكن جاشه ثم اقبل عليه وقال له اتحسن مسامرة الخلفاء فقال
الكهل نعم يا امير المومنين فقال له الوليد ان كنت تحسن المسامرة
فاخبرنا عنها ما هي فقال الكهل المسامرة اخبار المنصت وانصات
المخبر ومفاوضة فيما يجب ويليق فقال له الوليد أحسنت
ايها الرجل ازيدك امتحانا يعرف نفست لتولك فقال الكهل يا امير
المومنين ان المسامرة صنفان لا ثالث لهما احدهما اخبار بما يوافق
خبرا مسموعا والثاني اخبار بما يوافق خبرا مخصوصا مقترحا
واني

واني لم اسمع بحضرة امير المومنين حديثا فاخذ على مثاله ولا انتح على
امير المومنين سلوك طريقة فانحو نحوها والزم اسلوبها فقال له
الوليد صدقت وها نحن نقترح عليك ونرسم لك رسما لتقتفيه
انا بلغنا ان رجلا من رعيتنا سعى فيما يضر ملكنا فاثر سعيه
وشق ذلك علينا وبلغ ذلك فهل نماه احد الى علمك فقال الكهل
نعم فقال له الوليد فقل الان على حسب ما نما اليك منه وعلى
حسب ما ترضى من التدبير فيه فقال الكهل يا امير المومنين
انه بلغني ان امير المومنين عبد الملك بن مروان لما ندب
الناس لقتال عبد الله بن الزبير فخرج بهم متوجها الى مكه
حرسها الله تعالى استصحب عمرو بن سعيد بن العاص وكان عمرو
بن سعيد انطوى على دغل نية وفساد طوية وطماعية في نيل
الخلافة فكان امير المومنين عبد الملك بن مروان قد فطن
لذلك الا انه يبقي عليه لتاكد حرمته ولدنو رحمه فلما فصل
عن دمشق وسار عنها اياما واستمر به السير تمارض عمرو بن سعيد
فاستاذن امير المومنين عبد الملك في العود الى دمشق فاذن
له فلما دخل عمرو بن سعيد دمشق صعد المنبر فخطب الناس
خطبة نال فيها من الخليفة ودعا الناس الى خلعه فاجابوه الى ذلك

وبالعموم فاستولي على دمشق وحصن سورها وحمي حوزتها وسد ثغورها
وبذل الرغايب فبلغ ذلك عبد الملك بن مروان وهو متوجه الي
بن الزبير فبلغه مع ذلك ان والي حمص قد نزع يده من الطاعة
وان اهل الثغور قد تشوفوا على الخلافة فخرج على وزرايه ومعه محضره
يضرب بها عطفه فاطلعهم على ما بلغه وقال لهم هذه دمشق دار
ملكنا قد استولي عليها عمرو بن سعيد وهذا عبد الله بن الزبير
قد استولي على الحجاز والعراق ومصر واليمن وخراسان وهذا
النعمان بن بشير امير حمص وزفر بن الحارث امير قنسرين ونايل
بن قيس فلسطين قد نزعوا ايديهم من الطاعة وبلغ الناس ان
الزبير وقد تشوش اهل الثغور الخلاف وهذا المضرة سيوفنا على
عواقبنا نطالبنا المرح فلما سمع وزراه مقالته ذهب عقولهم
وعلموا انه لا مفر ولا مفر فنكسوا روسهم ولم ينطقوا فقال لهم عبد
الملك ما لكم لا تنطقون احضرتموني عنا لكم فهذا وقت الحاجة اليكم
فقال له افضلهم على اي عنايه هذا عندنا وددت والله ان اكون
حربا على عود من اشجار تهامة حتي ينقضي هذا اليقين قال محمد
رحمه الحربا هذه دابة صغيرة طولها اقل من شبر لها قوايم اربع وراس
تشبه راس العجل اذا طلعت عليها الشمس قامت على عود وحولت
او

8

اوجهها استقبلت الشمس بعينيها وجعلت تراعيها ولا تنصرف عنها
ببصرها حتي تستوي الشمس في اعلا فلكها فتصير على راس الحربا فلا
يمكنها النظر الي الشمس فتتقلق وتتململ وتضرب بلسانها حنكها
كما يفعل من يسوق الحمار فلا تزال كذلك حتي نزول الشمس فتنزل
الحربا تبتغي ما تاكله ليلها كله حتي اذا طلعت الشمس عادت لفعلها
فتمني هذا الرجل ان يكون حربا فرارا من تلك الفتن قال الكمل
فلما سمع عبد الملك مقالة صاحبه علم انه لا غنا عن وزرايه
فقام عنهم وامرهم بلزوم موضعهم وركب من فوره منفردا وامر
جماعة اقوية من شجعان اصحابه وفرسانهم ان يركبوا في السلاح
ويتبعوه مستبعدين عنه بحيث يرون اشارته ان اشار اليهم
فعلوا وسار عبد الملك واتبعه القوم على ما رسم لهم فلم يزل
سايرا حتي انتهي الي شيخ كبير السن ضعيف الجسم يثني الحبال
وهو يجمع السماق فسلم عليه عبد الملك وانسه بحديث خفيف
ثم قال له ايها الشيخ الك علم بمنزله هذا العسكر فقال الشيخ
بلغني انهم نزلوا بموضع كذا فقال له عبد الملك هل سمعت
شيا مما يقول الناس في امس فقال الشيخ سمعت شيا مما يقول الناس
لكن ما سوالك عنه فقال عبد الملك اني اردت اللحاق به والدخول

في اصحابه والتعرض للحظوة عنده فقال الشيخ اني اراك اديبا وصيا
واحسبك حسيبا سريا فهل يجب ان انصح لك فيما انت قاصد فقال
عبد الملك ما احوجني الى ما تقول فقال الشيخ انه ينبغي لك ان تصرف
نفسك عن هذا الامر الذي ترغب اليه فقال الامر الذي انت قاصده
قد اختلت عرا ملكه ونات عنه عرا اتباعه واضطربت اموره وان
السلطان في حال اضطراب اموره كالبحر في حال هيجانه لا ينبغي
ان يقرب فقال عبد الملك ايها الشيخ لم تبلغني مغالبة على نفسي
في كل ما ارغب اليه واني اجهد ها نزع الى صحبة هذا الامير نزعا
شديدا ولا بد لي من ذلك فهل لك ان تحسن لي فتخبرني بما
تراه من الراي لهذا الامير في تدبير هذه الخطوب التي دهمته
لاعرض ذلك الراي عليه واتنفق به عنده فلعله ان يكون
سببا لتقربي منه فقال الشيخ ان حكمة الله تعالى وعزته ليقضيان
بحجب العقول والاراء عن النفوذ في بعض النوازل واني لا اظن ان
هذه النازلة نزلت بهذا الخليفة من النوازل التي لا تنفذ فيها العقول
ولا يهتدى الى صواب تدبيرها الراي ولم اكن ان ارد مسئلتك
بالخيبة فها انا اقول فيما سالتني عنه قولا اقضي به حق رغبتك
وان كنت لا اثق على نفسي فيه لان الخطب عظيم والخطر فيه متناهي
عظم

عظم فقال عبد الملك فلي جزاك الله خيرا واني لارجو ان يسددك
الله ويرشدك ويرشدني بك الى الصلاح فقال الشيخ ان هذا الخليفة خرج
لمحاربة عدو فظهر من مشية الله تعالى ان لا يريد ما قصد له والدليل
عليه ان الله تعالى لم يرد قصده لمحاربة بن الزبير انه قطعه عن التمادي
بما احدثه في دار ملكه من وثوب عمرو بن سعيد على منبره واستفساده
لرعيته واستيلائه على بيوت ماله وسرير خلافته واني مشير عليك
بتفقد حال هذا الامير وانتظار ما يكون منه فان رايته قد تمادى
فيما خرج له واصر على قصد بن الزبير فاعلم انه مخذول لان الله
تعالى قد اظهر من حكمته امرا يقطعه عن التمادي لما خرج له
فان لج في الاجلاج وان رايته قد رجع من حيث جاء وترك ما كان
قصداه وخرج اليه فارج له السلامة فانه مستقبل مراجع والله
سبحانه اهل لان يقبل من استقاله ويرحم من يرجع اليه فقال له عبد
الملك فان هذا رجوعه الى دمشق الاكسير لابن الزبير اذ الا نزد
ظهر من حكمة الله ومشيئته ان قبض عنه قلوب رعيته الذين بدمشق
وبسط ايديهم بالبيعة لغيره لمصيرهم بالبيعة لابن الزبير لرجوعه الى عمرو
بن سعيد لان كل واحد منهما حاصل على مملكته تسيفه ورغبة مطيعه
فقال له الشيخ ان الذي اشكل عليك لواضح بين وما انا ان ازل اللبس عنك

ان عبد الملك اذا قصد ابن الزبير كان في صورة ظالم له لان ابن الزبير لم
يعطه طاعة قط ولا وثب على ملكه وهو اذا قصد عمرو بن سعيد كان في
صورة مظلوم لان عمرو بن سعيد نكث بيعته وخان امانته واقدم عشيرته
وحملهم على النكث والغدر ووثب على دار ملكه ولم يكن له ولا لابيه
بل كان لعبد الملك ولابيه من قبله وعمرو بن سعيد عليه معتمد ولها
مغتصب وانه يقال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول
وجيش العدوان مفلول وغرس الطغيان مثلول وساضرب لك
مثلا يشفي النفس وينفي اللبس واودعه من غرر الحكم والاداب ما يحد
الفطن ويجلو الالباب ويسفر عن وجه الصواب زعموا ان ثعلبا كان
ظالما وكان له جحر ياوي اليه وكان مغتبطا به لا يبتغي عنه حولا فخرج
يوما يبتغي ما ياكل ثم رجع فوجد فيه حية فانتظر خروجها فلم تخرج
وعلم انها قد استوطنته وذلك ان الحية لا تتخذ جحرا وتدخل وتغتصبه
وتطرد عنه من كان فيه من الحيوان وقال يصف رجلا بالظلم
وانت كالافعى التي لا تحتفر ثم تجي سادرة فتنجحر فلذلك قالوا فلان اظلم من
حية فهذا ظالم ولما راى الثعلب ان الحية قد استوطنت جحره ولم يمكنه
الكون معها ذهب يطلب له ماوى فانتهت المقادير الى ماوى جحر حصين الموضع
في ارض ذات اشجار ملتفة وماء معين فاعجبه وسال عنه فقيل له
ان

ان ذلك الجحر لثعلب يدعى مفوضا وانه ورثه من ابيه فناداه ظالم فخرج
اليه فرحب به وادخله الجحر وساله عما قصد له فقص عليه خبره وشكا
اليه ما ناله فرق له مفوض ثم اقبل عليه فقال له ان من الله ان لا تقصر
عن مطالبة عدوك وان تستفرغ جهدك في ابتغاء دفعه واهلاكه وان
كان يقال انه من يهب عدوه فقد جهز الى نفسه جيشا وكان
يقال رب حيلة انفع في النصر من قبيلة ويقال الموت في النار خير من
الحياة في العار ويقال اذا طلبت عدوك بالقوة فلا تقدم عليه
حتى تعلم ضعفه عنك واذا طلبته بالمكيدة فلا تعظمن امره عندك
وان كان عظيما والراي عندي ان تنطلق معي الى ماواك الذي
انتزعت منه غصبا حتى اطلع عليه فلعلي اهتدي الى وجه مكيدة
في تمكينك منه فان افضل الراي ما اسس على الروية ولذا قيل
يفسد التدبير بثلاثة اسباب احدها ان تكثر الشركاء فيه فاذا
كان كذلك انتشر التدبير وبطل والثاني ان يكون الشركاء في التدبير
متحاسدين متنافسين فيدخل الهوى البغي فيفسد والثالث ان يكون المدبر
من غاب عنه دون من باشر وشاهد ثم ان التدبير للمسموعات موكل
على ظنون الخبر وتدبير المبصرات مؤسس على يقين النظر فانطلقا
معا الى ذلك الجحر فتامله مفوض وعلم ما اراد علمه ثم اقبل على ظالم

فقال له قد شاهدت من امر مسكنك ما دعاني الى باب المكيدة وسفر لي
عن وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مفاوض
انا اضعف الراي ما سنح في البديهة ويقال الراي مرآة العقل فان اردت
ان ترى صورة عقله فاستشره وكان يقال افضل الراي اجادت الفكرة
نقده واحكمت الروية عقده ويقال الراي سيف العقل وما كان ابلغ
السيوف ما بولغ في ارهاف حده واجيد صقله كان النجح في الامر ما
كثر امتحانه واطيل تامله وكان يقال كل راي لم يمحضه الفكر ليله
كامله فهو مولود لغير تمام ثم قال انطلق معي فبت الليله عندي
لا تطوف فيما سنح لي من المكيدة ففعلا وبات مفوض مفكرا في ذلك
وجعل ظالم يتامل مسكن مفوض فراى من سعته وطيب تربته وحصانته
وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر الحيلة
في غصبه ونفي مفوض عنه وكان يقول اللئيم كالنار اكرمها اضرها بها
وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعا لم يكن الا الاحسان دفعا وعلى
العاقل تقديم التجريب على التقريب والاختبار على الاختيار والثقة على الثقه
فلما اصبحا قال مفوض لظالم اذ رايت من الحزم ان تذهب عنه وانصرف
بنفسك وهل اعنك على احتفار مسكن ستير موافق فقال له ظالم
ان ذلك لا يمكنني لمشقة بعد الوطن حينا ولا يمكن مع فقد السكن سكونا
ويقال دلايل الوفا سبع بر الاباء والامهات وصلة ذوي القرابات
والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب
والبس

[illegible]

والبس لاخلاق الثياب والصبر على هرم الذوب [illegible]
يقال الغريب ميت الاحياء واعادة البين اثر ابعد
عين وقيل ان حروف اسم الغربه مجموعة من اسما تدل
على اسم الغربه فالغين من غيبه وغرور وغبن وغم وغله
وهي حرارة الحزن والظما وغول وهو ذلك هلكه في
اشباه لهذه الاسماء والرا من رزء وروع ورعب ورنق
وهو الكدر وردى وهو الهلاك في اشباه لهذه الاسماء
والها من هجر وهم وهون وهول وهلك في اشباه
لهذه الاسماء ٥ واذا سمع مفوض مقاله ظالم امكن ان
يقول له اعلم انه لا غنى بالمشير عن معرفة حال المستشير
فان جهلها لم يبعد ان تكون استشارته عليه وبالا ويزداد
برايه خبالا كالطبيب الذي لا يصلح ان يصف دوا
العله حتى يعرف سن العليل وتركيب بنيته ويقف
على اسباب علته وعلى عادته في اغذيته وادويته
ويتحقق طبيعة زمنه وهوا بلدته فمتى اكتفى بالدلاله
على دوابه اوقعه فيما هو اشد من دايه وغير بعيد
ان يكون معنا [illegible] ما سمك فتكون مواخذا بجرم ومعاقبا

فقال له قد شاهدت من امر مسكنك بالشجر في باب المكيده وسفر لي
عن وجه الراي فيه فقال له ظالم اطلعني على ما ظهر لك فقال مفاوض
انا اضعف الراي ما يجي في البديهة ويقال الراي مراه العقل فان اردت
ان ترى صورة عقله فاستشره وكان يقال افضل الراي اجادت الفكرة
نسجه واحكمت الروية عقده ويقال الراي سيف العقل وما كان اسحق
السيوف ما يوثر في ايمان حده واجيد صقله كان يجي في الامر اما
كثر استحانه واطيل تاسله وكان يقال كل راي لم يمحص الفكر لياله
تاسله فهو مولود لغير تمام قال انطلق معي فبت الليله عندي
لا تطو فيما سيجلي من المكيدة ففعل وبات مفاوض مفكرا في ذلك
وجعل ظالم يسايل مسكن مفاوض فراى من سعته وطيب تربته وحسنه
وكثرة مرافقه ما اشتد له اعجابه وحرصه عليه وطفق يدبر الحيلة
في غصبه ونفي مفاوض عنه وكان يقول اللئيم كالنار اكرمها اضرها
وكان يقال اذا كانت الاساءة طبعا لم يمنع اهلها الاحسان دفعا وقال
العاقل يقدم التجريب على التقريب والاختبار على الاختيار والثقة على الثقه
فلما اصبح قال مفاوض لظالم اني رايت من الحزم ان تذهب عنه وانصرف
بنفسك ومعي اعنك على اجتناب مسكن سنين واثق فقال له ظالم
اني لك لا يمكنني لمشقه بعد الوطن حينا ولا مكن مع فقد السكن كونا
ويقال دلايل الوفا سبعه بر الاباء والامهات وصله ذوي القرابات
والنزاع الى الوطن والجزع لفقد السكن والحزن لاخلاق الشباب
والبس

[illegible]

والبس لاخلاق الشباب والصبر على هرم الدنيا [illegible]
يقال الغريب ميت الاحياء واعادة البين اثر البعد
عين وقيل ان حروف اسم الغربه مجموعة من اسما تدل
على اسم الغربه فالغين من غيبه وغرور وغبن وغم وغله
وهي حرارة الحزن والظما وغول وهو كل هلكه في
اشباه لهذه الاسماء والرا من رزء وروع ورعب ورنق
وهو الكدر وردى وهو الهلاك في اشباه لهذه الاسماء
والها من هجر وهم وهون وهول وهلك في اشباه
لهذه الاسماء ٥ واذا اسمع مفوض مقاله ظالم امكن ان
يقول له اعلم انه لا غنى بالمشير عن معرفة حال المستشير
فان جهلها لم يبعد ان تكون استشارته عليه وبالا ويزداد
برايه خبالا كالطبيب الذي لا يصلح ان يصف دوا
العله حتى يعرف سن العليل وتركيب بنيته ويقف
على اسباب علته وعلى عادته في اغذيته واد وبيته
ويتحقق طبيعة زمنه وهوا بلدته فمتى اكتفى بالدلاله
على دوابه وقعه فيما هو اشد من دايه وغير بعيد
ان يكون معنا ... كما سمك فتكون مواخذا بجرم ومعاقبا

على ظلم فان كان الامر هذا فطلب الخلاص مما تكرهه
كخبط المصيد في الشرك فانه يتعجل به نصبا وربما اورثه
عطبا ولعل صايده يريد ان يملكه الان يهلكه
وان لم تكن مواخذا بجرم ولا معاقبا على ظلم فاعلم ان ما نزل
بك مشكل واولى ما تلقى مشكل النوازل التفويض الى من
انفرد بتدبيرها وعلمها واخفى حكمته في حكمها
وها انا اضرب لك في ذلك مثلا تجتلي به كلما رايعة
وتجتني منه حكما يانعة فان المثل الذايع مغناطيس
الطبايع وذلك ان الامثال هي من الممثلات للطباع
واجول منها في الالسنة والاسماع كما ان التصاوير
اعلق بالابصار مما جعلت له تمثيلا ونصبت على صورة
الاصلية دليلا وهكذا ما نسب من الكلام الى البهيمة
العجما اعلق بالاسماع مما نسب الى العقلا الحكماء
قال صاحب الكتاب عفا الله عنه فاقول لو ان
طاووسين ذكرا وانثى يسمى الذكر منهما الزبرج كانا
لرجل معجب بهما محسن اليهما وكان بصيرا بادوا الطـ

وادويتها فراى يوما ريش الزبرج قد تغيرت الوانه وعلم
ان ذلك التغير موذن بظهور مرض مخطور وان دفع ذلك
المرض ورفعه بان ينتف ما عظم من ريش الزبرج ويحبس
عن السفاد ويقلل طعمه ويخلط بماكوله ومشروبه دوا
يبشع الطعم ففعل ذلك وجزع الزبرج لما ناله جزعا
شديدا وكان يقال الجزع للمصيبة الحادثة للمصايب
الملقاه لقران للنعم المبقاه وكان يقال الجزع
للمصيبة الحادثة مصيبة ثالثة وتفسيره ان من جزع
حرم الاجر على مصيبته ثم ادخل على نفسه الاذى بالجزع
فصار ممتحنا بثلاث مصايب ثم ان الزبرج بينا هو
في محبسه راى ديكا حبشيا يسمى الجيزاب من اخس
الديول صورة وزينتا وهو في مراح وصياح فيزداد
الزبرج لرؤيته الجيزاب اسفا ولولا ان الله سبحانه
جعل لهما فطنة والهمهما حكمة كما فعل بهدهد
سليمن عليه السلام لم يكونا من ابانة عجبا وامكن
ان يقول الزبرج للجيزاب ايها المعافا ا انزل بي

لمبتلى حيل بينه وبين الفه وسلب رياشه وضيق مكسبه
وافسدت عليه طعمته فيرق لبلواه ونصغى الى شكواه
لعلك ان تعرف له فرجا وتملك له من امره مخرجا وامكن
ان يقول الجرذان وما الذى يصرفنى عن ذلك وقد علمت
ان افضل ما شكرت به نعمة للسرا رحمة اهل الضرا وكان
يقال الاجساد كلها كجسد واحد فى الصلاحية لقبول
الضر فالموفق من اهل العافية من نظر الى البلا النازل
بغيره وكانه كان نازلا به فانعم عليه باذهابه
لم يقلد بعوده واياه فهو ابدا شاكر انعامه وحاذر
انتقامه وكان يقال ان النعم حق علمها فى حال
وجودها ودوامها بل بعد فقدها وانعدامها وكيف
تشكر حق شكرها حين لا تقدر حق قدرها وكان
يقال لا يكون الانسان شاكرا للنعم حتى يجتمع له
اربعة اشيا المواساة فيها والاستعانة بها على طاعة
موليها والاشادة بذكرها وتيقن العجز عن القيام
بحقيقة شكرها ثم يقول الجرذان للزرزج

يلزمنا

يلزمنا اولا ان نعترف بفضيلة الانسان المشرف بفضيلة بموهبة
العقل ومزية العلم المستحق لبسط القدرة علينا وتصرف
الملكة فينا وانه اذا اتى الينا ما نكرهه لجناية منا كان
عاملا فينا بعدله او لغير جناية منا كان متصرفا فى ملكه
حكيما فى فعله فيقول الزرزج الامر على ما ذكرت فيقول
له هل تعلم انه نزل بك باجترام فيقول الزرزج لا اعلم
ذلك فيقول له الجرذان ان كنت صادقا فيما اعترفت
به لسيدك يلزمك التفويض اليه وترك الاعتراض عليه
وكان يقال ان سخط العبد لحكم سيده انكار لحقه
واقرار من رقه كما ان سخط قضا القاضى تجوير لحكمه او
تجهيل لعلمه وكان يقال ما تحقق بالعبودية من لم
يسره من مولاه ما ضره من سواه ويمكن ان يقول له
اسمع حديثا لعله ان يوسع عليك من الحرج ويهدى اليك
ارج الفرج قيل كان ملك له وزيران
صالحان ناصحان احدهما ناسك قد راض نفسه
على التزام وظايف العبادات واجتناب كبائر

الشهوات المتضادات وكانا قلما يتفقان على رأي فأتعبا
الملك إتعابا شديدا اختلافهما ولم يجد سبيل وجه عن صرف
أحدهما وظهر له من التدبير في تغييب المصرف منهما
أن يتخذ بيتا فيه مخدع خفي وأمر رجلا أمينا عنده
أن يدخل ذلك المخدع وأعلمه أنه حبس الوزيرين في
البيت وأمره أن يحفظ أقوالهما وأحوالهما ثم قبض على
الوزيرين بغتة فسجنهما في البيت وأمر فسد عليهما بابه
بالصخر إلا كوة يدخل منها طعامهما وشرابهما فلبثا
يومهما لا يكلم أحدهما الآخر حتى إذا جن الليل عليهما
قال الذي ليس ناسكا لصاحبه كيف تجد نفسك في هذا
البلاء قال الناسك مؤمنة بالقدر مسلمة إلى القادر
سبحانه قال الآخر لكني أجد نفسي جياشة مضطربة
فمن أين أتينا فيما تظن قال الناسك إني فتشت نفسي
في معاملة الملك فما عثرت على شيء أكرهه وفتشتها
في معاملة الجند والرعية فوجدت قبلي مظالم قد خرجت
منها إلى أصحابها وبالغت في إرضائهم وفتشت نفسي
في

14
في معاملة ربي سبحانه فوجدت ذنوبي أكثر من أن تحصى
غير أني كنت أحاسب نفسي كل يوم وليلة فأتوب وأستغفر
وأجتهد في أن أكفر وما أظنني أتيت إلا من سوء معاملتي
ربي سبحانه فقال الآخر لكني أظن أن فلانا سعى
بي لمنافسته إياي في حظوتي عند الملك فماذا ترى
قال الناسك رأيي لك ولي أن نشرب قلوبنا التسليم
لأمر الله سبحانه والتفويض إلى مشيئته فإن الذي
نزل بنا أمر مبهم تعمه القلوب عند تأمله وتضعف
عن تحمله قال الآخر لكني قد سنح لي رأي فلم أرض منها
الآن أكتب إلى الملك فأبيحه ما لي على أن يخلي سبيلي
فألزم بيتي وأعبد ربي قال الناسك هذا رأي فائل
لأن فيه جر التهمة وفيه نسبة الملك إلى الشره
وفيه اليأس من روح الله وباتا وأصبحا فأوتيا
بقرص واحد فقال الناسك لصاحبه كل فقال أخاف
أن يكون مسموما فقال الناسك لكني آكله ربي
وأفوض أمري إلى ربي وأخذ نصف القرص فأكله

فوجد فيه فصًا من الياقوت نفيسًا وباتا واصبحا فاتيا
بقرص اخر فاخذ الناسك نصفه فوجد فيه فصًا اخر
ثم كذلك من الغد وامر الملك باخراجهما واخبره
امينه بما سمع وراى منهما فاحضرهما وسالهما عما
قالاه وفعلاه في محبسهما فصدقاه واخرج الناسك
الفصوص فقال اني وجدت هذه فيما اكلت ولم
يكن يصلح ان افتش نصيب غيري فقال الملك
ان الله حرم غيرك وصنع لك وذلك لتفويضك
لامرك اليه ولم يكن في الاقراص سواها واني اردت
امتحان رايكما لا نفسكما فاما صاحبك فانعته الو
ساوس ووقع في تهمة البري بحسده والسعي به
وفي تهمتنا بالبغي عليه والسم له والشره الى
ماله واما انت فتعجلت الراحة من ادارة الراي
في الامر المجهول موجبه المستور سببه ففوضت
الى ربك وعدلت الملامة بنفسك فانزلك الله بحصننا
وخصك بموازرتنا وزلفتنا فاشكر من صنع لك وازدد
من

من التعويل في المعضلات عليه والتفويض في المشكلات
اليه ثم اكتفى به وزيرًا وصرف صاحبه موفورًا ۝ فان وعى
الزبرج هذا المثل المقول والحديث المنقول كان حقيقًا
بالتفويض الى سيده الذي اعترض حكمته ولم يرض قسمته ويوشك
اذا نزل بليته اهواؤه واحتشمت بالمجاهدة اذواؤه ان ينعمه
سيده فيترفه ويكرمه فبن لقده ۝ وهذا
احد القول المنسوب الى مفوض واذا وعاه ظالم امكن
ان يحد شمعه ويغلب عليه طبعه فيقول لمفوض اسعفني
بالراي الذي سنح لك في امر الحيلة المعتد به علي فيجيبه
بان الراي ان تجمع حطبًا الى باب مسكنك ثم تشعل فيه
نارًا فيلج الدخان عليهما فان اقامت فالدخان يخنقها وان
خرجت فالنار تحرقها فيسر بذلك ظالم وينوي ان
يفعله لمفوض ليظفر بمسكنه ويبيت عنده فاذا مضى
جنح من الليل خرج ليحتطب ويفقده مفوض فيظن انه
ذهب الى مسكنه بعيدا فيتبعه ليعينه ويحتطب ظالم
ويشد بالحطب باب مسكن مفوض وما يليه ثم يقتبس

ويضرم النار فتعمل فيما فوق باب الحجر عملا شديدا
واذا خمدت النار دخل ظالم الحجر والدخان فيه فتداعا
ما فوق باب الحجر فانهار وردم الباب فهلك ٥ وكان يقال
احترس من تدبيرك على عدوك كاحتراسك من تدبيره عليك
فرب هالك بما دبر ومكر وساقط في البير التي احتفر
وجريح بالسلاح الذي شهر واذا انتهى مفوض الى مسكن
ظالم حكه عاد الى بيته فاذا علم حقيقة امر ظالم امكن ان
يقول صدق من قال الباغي باحث عن مديه حتفه بظلفه
ومتردي في مهاوي تدميره بمساوي تدبيره وصدق
من قال سمين الغضب مهزول ووالي الغدر معزول
وحبش العدوان مفلول وعرش الطغيان مثلول
وصدق من قال ما اعطى البغي احدا شيا الا اخذ منه
اضعافه وصدق من قال ما اجتمع الملك والبغي
على سرير الا اخلا وصدق من قال لكل عاثر راحم
الا الباغي فان القلوب مجتمعة على الشماتة بمصرعه ٥
روضة رايقة ورياضة فايقة

بيان
بيان
بيان

قيل لما عزم امير المومنين الامين رحمه الله على انتزاع
العهد بالخلافة من اخيه عبد الله المامون رحمه الله وكان
المامون اذ ذاك مقيما بخراسان واميرا عليها كتب اليه
الامين يستدعيه ويذكر حاجته الى المقاربة ومفاوضته
في امر عظيم تضيق عنه الكتب واكد في تعجيل القدوم
عليه وكتب الى المامون جواسيسه ببغداد ان الامين
يريد تحويل الخلافة عنه الى ولده موسى بن محمد الامين
فاطلع المامون على خاصته على ذلك كله واستشارهم
فاشاروا عليه بالتثبيت واستطار الفرج والاعتذار الى
اخيه عن التخلف فكتب اليه يذكر شغب اهل خراسان
وتطلع من جاورها من ملوك الكفار الى الفرصة فيها
وانه لا يجد كافيا يستقل بضبطها فاعاد الامين مكاتبته
يستحثه ويعده بسرعة عوده وقلة لبثه ببغداد
ويعظم الامر الذي يدعوه له ويخوفه من التهاون
به فشاور اصحابه فثبتوا على رايهم ونهوه عن مفارقة
خراسان فاجاب الامين عن كتابه بنحو من جوابه الاول

وكتب الى الامين عيونه الذين بخراسان بان المامون
قد فطن لما يراد به وانه ممتنع جاد في ان وزراه قد اجمعوا
على نهيه عن مفارقة خراسان فيئس الامين عند ذلك من
نجح مكيدته وامر بالقبض على من ببغداد من حشم المامون
واصحابه ووكلايه وقبض ما علم من امواله وبلغ ذلك المامون
فخامره الجزع وشاور اصحابه فاشار عليه الحسن بن
سهل وغيره من خاصته بالتثبت والتفويض الى الله سبحانه
وانتظار الفرج ففعل ولما راى الامين اصرار اخيه
على الامتناع دعا الناس الى خلع المامون من عهد
الخلافة والبيعة بها لابنه موسى وكان موسى
اذ ذاك طفلا فاجابه الناس الى ذلك وبايعوا
وسمى موسى الناطق بالحق قال بعض اهل العلم
ولم يكن موسى حينيذ ينطق بحق ولا بباطل
واستكفل له علي بن عيسى بن ماهان وكان علي
هذا قد ولي خراسان قبل ذلك مدة فاصطنع
في اهلها جلايل الصنايع واعتقد المنن في اعناق

الرجال فكان شانه بخراسان عظيما فاستشاره
الامين في امر خراسان فضمن له ما يريده منها واخبره
انه لو بلغ خراسان لم يختلف عليه ممن بها اثنان فجهزه
اليها باحسن جهاز وولاه كل بلد يقدم عليه واعطاه
اموالا جزيلة وجهز معه جمهور جنوده واصحبه من
السلاح والكراع ما شا وبلغ ذلك المامون فاضطرب
امره وعلم عجزه عن مقاومة علي بن عيسى فركب الى منتزه
له ليناظر خاصته في تدبير امره فعارضه شيخ هرم
مجوسي من الفرس فناداه بالفارسية مستغيثا به من
مظلمة نالته فلما نظر المامون الى هرمه رق له وامر
بان يحمل على دابته ويتبع به الى الموضع الذي كان قاصده
ويدخل عليه بغير استيذان ولما استقر المامون
وصحابته بذلك الموضع الذي قصده ادخل عليه
الشيخ الفارسي فامره بالجلوس في حاشية المجلس
ثم اقبل على خاصته فاخبرهم بما انتهى اليه من شان علي بن
عيسى بن ماهان وامرهم باداره الراي في ذلك والنظر

ان الشيخ الفارسي اللسان العربي وان ما به من الهرم شاغل
له عن الاصغاء الى ما هم فيه ولما راى القوم ان المامون
لم يتحفظ من الشيخ تفاوضوا فيما جلسوا له فقال احدهم
الراى اصطناع اجناد من الاعاجم الذين لا يعرفون
علي بن عيسى فيلقى بهم وقال غيره الراي ان تبادر بالارسال
الى الامين معتذرا ومنقادا لما يريك اليوم ومنتظر النصر
الله غدا فانك مكره على الخروج من عهد الخلافه اكراها
لم يخف عن احد فهو حق لك متى امكنك طلبه لتثبت فيه
على تحفظ ظاهره وقال غيره الراى ان تجمع من تثق
بموالاته من ذوى النجده ثم ترتحل عليهم وتقصد بهم
بعض هذه الممالك الكافره المجاوره لنا فتقصد فيهم
القتال ولعل الله ان يظفرنا بهم فنصير الى مملكه
منيعه تؤوينا وينزع الينا من كان على مثل راينا
فنمتنع ونجاهد في سبيل الله حتى يقضي الله امره
وقال غيره الراى ان نتحاز الى ملك الترك مستجيرا
ومستنجدا على اخيك الغادر القاطع فهذا امر لم تزل

الملوك تفعله اذا دهمها ما لا قبل لها به فلما سمع المامون
هذه المقاله ركن اليها ثم افكر فقال كيف اجعل للترك
على حرب المسلمين سبيلا ثم قال لاصحابه قوموا عني والتفت
فراى الشيخ الفارسي فادناه ورفق به وساله عن حاجته
فقال الشيخ بلسان عربي ما معناه واللفظ لي اني جئت
لحاجه فعرض لي ما هو اكد منها فقال له المامون تكلم بما
في نفسك فقال اني دخلت على الامين وانا غير متصف
بالمحبه له ثم قد القيت له محبه في قلبي وكان يقال
الرق ثلثه انواع فاولها واوعبها رق الاختراع وثانيها
رق الاصطناع وثالثها رق الاتباع فاما رق الاختراع
فهو رق المصنوع لصانعه الذي اخرجه الى عالم
الكون واما رق الاصطناع فهو رق المنعم عليه للمنعم
واما رق الاتباع فهو صنفان رق الحب وهو اقربهما
الى رق الاختراع لان له سلطانا مبسوطا
على الباطن والظاهر والثاني رق الرغبه لراغبها
ورق العبيد لسادتها قال الشيخ وقد نظرت

على انك ايها الامير ثلث قوى من الرق رق الحب ورق
الاصطناع ورق الاتباع فان رايت ان تلحقني باوليايك
فعلت فاطرق المامون مفكرا في كلام الشيخ فقال
الشيخ لا يصغرن الامير عني حقارة قدري عنده وكان
يقال لا تحقرن من الاتباع احدا فانك تنتفع به كاينا من
كان وهو احد رجلين اما شريف فتتجمل به واما وضيع
فيحمي عرضك ويصون عرونك ثم قال الشيخ على اني لست
اعني بحقارة قدري عند الامير حقارة اخلاق ولا حقارة
اعراق فاما اخلاقي فامتحانها بيد الامير واما اعراقي فاني
برهمي من ولد البرهمن شيد ملوك الفرس المتوسط بينها
وبين علة العلل وانما اعني حقارة ديني عند الامير وكوني
في عقد ذمته وصغار جزيته فقال له المامون ما يمنعك
ايها الشيخ من رغبة وان تنقلت من دينك الى ملتنا
التي فنالك شعارا فقال الشيخ ان الباعث من نفسي الى ما
دعاني الامير اليه شديد ولكني لا افعله في مقامي هذا
ولعلي انا افعله فيما بعده ثم قال ان اذن الامير ان اتكلم
على

19
على ما فاوض فيه اصحابه الان فان عندي منه علما فقال
له المامون تكلم فقال اني قد سمعت ما اشار القوم به
وكل منهم مجتهد في الاصابة ولست ارضى شيا مما
ذهبوا اليه وانما اجد في الحكم الذي اخذها اباي عن
اباهم انه ينبغي للعاقل اذا دهمه ما لا قبل له به ان
يلزم قلبه التسليم لاحكام الحكيم واهب العقل وقاسم
الحظوظ ولا يضيع مع ذلك نصيبه من الدفاع بحسب
طوقه فانه ان لم يحصل على الظفر حصل على العذر فقال
المامون ايها الشيخ انه كان يقال لا راي لمكذوب
وقد سمحت نفوسنا لك بالثقة والطمانينة من غير امتحان
وما ذاك لانا نختار اضاعة الحزم ولكنا احببنا ان
نذيقك ثمرة حبنا بالمكاشفة الدالة على القبول ها
نحن نخبرك ان هذا الرجل المتوجه الينا وهو علي
بن عيسى بن ماهان املك منا بالبلد ثم لا يمكننا مقاومته
لو اردنا ذلك لتعذر الاموال قبلنا قال الشيخ
ايها الامير ينبغي ان تمحو هذا من نفسك بالجملة وان لا

تصغي الى من ينطق به فقال صاحب الكتاب عفا الله عنه
كان يقال ما اكثر من كثرة البغي ولا اقوى من قوة
الظلم ولا املك من ملكة الغضب ٥ وقال
الشيخ ها انا احدثك ايها الامير حديثا عن ملك من
الملوك ان حذوت مثاله نلت مناله فقال المامون هات
فقال الشيخ ان الخنشوار ملك الهياطله لما اسر
فيروز بن يزدجرد ملك فارس واراد اطلاقه اخذ
عليه عهدا ان لا يغزوه ولا يقصده بمكروه وجعل في
اقصى تخوم بلده ارض الهياطله صخره ووافق فيروز ان
لا يتجاوز احد منهم تلك الصخره بجيش ولا بمكروه
ولما استوثق الخنشوار من فيروز بما اخذ عليه من
عهود المسالمه اطلقه وحين رجع فيروز الى دار ملكه
داخلته الحميه والانفه على غزو الخنشوار واطلع
وزراه على ذلك فحذروه النكث وخوفوه عاقبة البغي
فما ردعه ذلك عما هموا به فاذكروه ايمانه التي حلف
للخنشوار الا يتعدى الصخرة التي وضعها في تخوم ارضه
فقال

فقال لهم اني انما عاهدته على ان لا نتجاوزها وانا امر من يحملها
على فيل بين يدي جيوشي فلا يتجاوزها احد منهم فلما راوا ان
الهوى قد وقف به على حب الرضى بهذا القول علموا انقياد
عقله لشهوته فامسكوا عنه واعتقدوا ان لا يراجعوه
في ذلك فقال صاحب الكتاب عفا الله عنه كان يقال
الهوى ضد ابدا يعلوا العقل فلا تنطبع فيه صورة الخطا وكان
يقال ما لم يبلغ الهوى حد اللجاج فهو نشوة السكر فاذا بلغ
اللجاج فذلك رين السكر وكان يقال لا تو شك تابع
هوى في حال استيلاء الشهوة والغضب عليه لانها حال
احتجاب عقله وذلك ان الهوى املك بالنفس لتقدم سلطانه
عليها فاما سلطان العقل فطارى مستفاد وللعقل
حجابان وهما الغضب والشهوه فلا يزال العقل ناظرا
الى الهوى قاهرا له ما لم يحجبه غضب او شهوه فحينئذ
يبسط سلطان الهوى وينفذ حكمه قال
الشيخ فجمع فيروز مرازبته وهم اربعة تحت يد كل واحد
منهم خمسون الف مقاتل يضبط منهم ربعا من ارباع مملكته

بامره وامرهم بالتجهز لحرب الهياطله ففعلوا وسار فيروز
في جنوده التي يظن الا غالب لها وكان الخنشوار يضعف
عن مقاومة فيروز بان عزم انه به فيروز وانما كان ظفره
به اولا لمكيدة ليس هذا موضع ذكرها وقد كان موبذ موبذان
ومعنى هذا الاسم حافظ حفظة الدين وهو عند الفرس
كالنبي قال لفيروز حين علم عزمه على غزو الخنشوار الا
تفعل ايها الملك فان رب العالم يمهل الملوك على الجور
ما لم ياخذوا في هدم اركان الدين فاذا اخذوا في ذلك
لم يمهلهم وان العهود والمواثيق ركن من اركان الدين
فلا تعرض له بسوء فلم يلتفت فيروز الى هذه المقاله
وركب راسه في معصية نصحايه قال صاحب الكتاب
كان يقال يستدل على ادبار امر الملك بخمسة امور
احدها ان يستكفي بالاحداث الذين لا خبرة لهم بمصادر
الامور والثاني ان يقصد اهل مودته بالاذى والثالث
ان ينقص خراجه عن قدر مؤونة ملكه والرابع ان يكون
تعتيده وابعاده للهوى لا للراي الخامس استهانته بنصح

العقلاء

العقلاء واراء ذوي الحنكة وكان يقال من عصى نصيحا
فقد استفاد عدوا وكان يقال انما قبول الصواب ورده
بحسب قوة التخيل الفكري وضعفه فمن قوي تخيل فكره فهو
في سلطان الراي غالبا ومن ضعف تخيل فكره فهو في
سلطان الهوى غالبا وعلى هذا فمن عدم الفكرة في الامور
التحق بالبهايم فقال وسار فيروز يجبو شبه
حتى انتهى الى تلك الصخرة التي تركها علما حاجزا بين
ارضه وبين ارض الخنشوار فامر بها فحملت على فيل وسير
بها بين ايدي الجيوش فما ابعد حتى اتاه ات فاخبره
ان اسوارا عظيم القدر من اساورته قتل رجلا مسكينا
ظلما ثم جا اخو ذلك المسكين المقتول فاستغاث بفيروز
وساله ان يقيده من قاتل اخيه فامر له فيروز بمال يرضيه
من دم اخيه فامتنع من قبول المال وقال لا يرضيني الا
قتل قاتل اخي فامر فيروز بصرفه فانطلق من فوره
الى ذلك الاسوار الذي قتل اخاه فشد عليه بخنجر في
يده فلما راه الاسوار حرك فرسه بين يديه هاربا وانثنى

خبر ذلك الى فيروز فعجب منه وتقدم اليه افضل وزرايه فنزل
عن دابته وسجد له فسأله فيروز عما يريد فذكر انه يحتاج الى
ان يخلو ابه فامر فيروز فضربت له قبة في ذلك الموضع ونزل
فيها واحضر وزيره فسأله عن خطبه فقال له الوزير ايها
الملك السعيد ملكت الاقاليم السبعة وعمرت بنوا اس
في ظل عزته وقدرته لقد ظهر من عناية الرب الاعلى بك لما ضربه
من المثل في امر هذا الاسوار اذ كان اسوارا نجدا فر من مسكين
في يده خنجر وما ذاك الا لبغيه وتعديه فقال الملك انه لم
يفر منه لعجزه عنه بل لخوفه منا لاجل فعلته السابقة التي
لا يامن ان نعاقبه عليها فقال الوزير ارايت ايها الملك
ان دعوته الى مبارزة هذا المسكين وامنته من سطوتك
فظهر عليه المسكين اما تعلم ان هذا مثل ضربه لك
قيم العوالم فقال الملك لافعلن ذلك ثم احضر الاسوار
وامنه واغراه بمبارزة المسكين الطالب بدم اخيه
واتى بذلك المسكين فعرضت عليه مبارزة الاسوار
فاظهر الرغبة فيها والحرص عليها فخوفه من الهلاك فلم يخف
فقيل

فقيل له اما ترى درعه وسلاحه وفرسه اما سمعت بنجدته
وشجاعته انك مهلك نفسك مستميت ولا اثم علينا فيك فقال
لهم ما معناه دعوني واياه فانه على فرس الغرور وانا على فرس
البصيرة وهو لابس درع الشك وانا لابس درع الثقة
وهو مقاتل بسيف البغي وانا مقاتل بسيف الحق فقال الوزير
لفيروز ان كلام هذا المسكين ابلغ في المسألة والموعظة
من ظفره بهذا الاسوار فاستبق اسوارك ولا تعرضه
للهلكة وارض هذا المسكين من دم اخيه فان لم يرض فاقض له
بالعدل المعهود منك فقال الملك لابد من ان يلقاه ان كان
المسكين يريد ذلك فاختار المسكين لقاءه ورغب فيه
ثم ان كل واحد منهما تحرك نحو الاخر فضرب الاسوار
ذلك المسكين ضربة نطاطا لها فاصاب ذباب السيف
~~البيضة فاثر عنقه وجذبه فصرعه ثم ضرب ضربة اخرى~~
فيها اثرا ليس بالشديد وقبض المسكين على لجام فرس الاسوار
ثم ضربه بالخنجر في عنقه وجذبه فصرعه ثم ضربه ضربة
اخرى فادخل طاقات من الدرع في جوفه وقضى عليه فبان

فيروز في مكانه ذلك يدبر رايه ثم انه استنقاد لهواه فنفذ
لوجهه قال صاحب الكتاب كان يقال اول الهوى هون
واخره هون وكان يقال الهوى كالنار اذا استحكم
ايقادها عسر اخمادها وكالسيول اذا اتصل مدها تعذر
صدها قال الشيخ ولما بلغ الخنشوار قصد فيروز اياه في
جيوشه حمل نفسه على التثبت ووكل الامر الى الرب الاعلى
وساله ان يغضب لعهوده ومواثيقه التي لم يرع فيروز حقها
ولا خاف تبعة نكثها واخذ مع ذلك بحظه من الحزم فسد
ثغوره وجمع اليه جنده واعد للقاء عدته حتى اذا
انتهك فيروز حرمته ووطى بلاده وتوسط مملكته وعاث
في ارضه واسا على رعيته اثره نهض اليه فناجاه وصدقه
الجلاد فانكشف فيروز منهزما واسلم ما كان بيده فقتل
الخنشوار رجاله وغنم امواله وامعن في طلب فيروز
حتى ظفر به فقتله واسر اهل بيته وحماة اصحابه قيل
فلما سمع المامون ما ضربه له الشيخ مثلا سر به وقال
ايها الشيخ قد سمعت مقالتك فصادفت منا قبولا لها
وشكرا

وشكرا عليها وسرورا بها فما ذا ترى فيما دعوناك اليه من
توحيد الله الذي اجزل من العقل حظك ووفق للمعرفة
قدرك وانطق بالحكمة لسانك وقطع لمحمد صلى الله عليه
وسلم عذرك فقال الشيخ اشهد ان لا اله الا الله واشهد
ان محمدا رسول الله فسر المامون باسلامه واجزل عطيته
والحقه بخاصة اصحابه فما لبث الا يسيرا حتى لحق بربه
عز وجل وعمل المامون برايه فانجح الله عمله وبلغه من
الخلافة امله ○

السلوانة الثانية وهي سلوانة التاسي

انزل الله سبحانه من السورة المذكور فيها الاحزاب
ايات معجزات طبقت المفصل المقصود في هذا الكتاب
وهي تاسي الملوك في طوام العوام والله ربنا المحمود
على الهداية اليها والدلالة عليها وذلك قوله سبحانه
في المنافقين على خليفته في ارضه الداعي الى [illegible] ربه
وفرضه صلى الله عليه وسلم تسليما اذ جاؤكم
من فوقكم ومن اسفل منكم واذ زاغت الابصار وبـ[illegible]

القلوب الحناجر وقوله هنالك ابتلي المومنون وزلزلوا
زلزالا شديدا وقوله في تردد من ضعفت بصيرته اذ ذاك
وتظنون بالله الظنونا وقوله في ظهور النفاق وجراه اهله
على اعلان ما كانوا يسترونه حين راوا ان المومنين قد ابتلوا
وزلزلوا واذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما
وعدنا الله ورسوله الا غرورا وقوله في القاعدين عن نصره
الحق المخذلين عنه قد يعلم الله المعوقين منكم والقايلين لاخوانهم
هلم الينا الاية وقوله فيهم واذ قالت طايفة منهم يا اهل
يثرب لا مقام لكم فارجعوا وقوله في المتسللين
لواذا ويستاذن فريق منهم النبي يقولون ان بيوتنا
عورة وما هي بعورة ان يريدون الا فرارا وقوله
في تجار اسواق الفتن الذين يتبعون كل ساع ويستجيبون
لكل ولو دخلت عليهم من اقطارها ثم سيلوا الفتنة لاتوها وما تلبثوا بها الا يسيرا وقوله في تعجيز القدر ناعق صح
عن مغالبة القدر قل لن ينفعكم الفرار ان فررتم من
الموت او القتل الاية والتي تليها من قوله تعالى قل من ذا الذي
يعصمكم

يعصمكم من الله ان اراد بكم سوءا او اراد بكم رحمة فهذه
جمل طوام العوام والامتحان بها ثم ان الله سبحانه كل من امتحن
بها ونعتها من المحسنين على ما ادب به رسوله محمدا صلى الله
عليه وسلم بقوله لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة
والادب المشار اليه هو التاسي قال الله سبحانه ولقد كذبت
رسل من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم
نصرنا وقوله ولقد جاك من نبا المرسلين ثم عرف الله رسوله
صلى الله عليه وسلم ان اضاعة التاسي وتركه العمل به لا
يجلب اليه حظا فقال عز اسمه وان كان كبر عليك اعراضهم
فان استطعت ان تبتغي نفقا في الارض او سلما في السما
فتاتيهم باية ونص على ان التاسي مفترض عليه بقوله
فاصبر كما صبر اولو العزم من الرسل وقوله اوليك الذين
هدى الله فبهداهم اقتده وروي ان رسول الله صلى
الله عليه وسلم قال ان الله ادبني فاحسن ادبي فالتاسي
مما ادب الله به رسوله بل مما افترض الله عليه بما تلوناه
ومعنى التاسي على ما ذكره الايمة ان ينظر التاسي غيره كالحجة

وانه مثل اسالـ اى مثل حزنك ولا يعجبني هذا فهو عندي ماخوذ
من قولهم اسوت المريض والجرح اي داويتهما والاسي الطبيب
وكان معنى التاسي التطبيب والتداوي بالصبر والاسوة اسم
من هذا والتاسي تفعل من الاسوة ولو كان على ما ذهبوا اليه
لكان معنى التاسي التحزن تقول اسيت اى حزنت وتاسيت
اى تحزنت لانه تفعل منه ○

حديث نبوي في التاسي

هو مما رويناه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
قال انظروا الى من هو اسفل منكم ولا تنظروا الى من هو فوقكم
فانه اجدر ان لا تزدروا نعمة الله عليكم قال صاحب الكتاب
ان هذا الخبر حسن الموقع مما نحن فيه ولا ينبغي ان نقصر بلفظه
عن طلق افهامه وموجب عمومه والذي يوجب عمومه
انه امر لمن كان في نعمة دقيقة ان ينظر الى من هو في نعمة
ادق منها وامر لمن كان في نعمة بلاء ان ينظر الى من هو
في بلاء اشد من بلائه فانه دونه واسفل منه في حظ
المعافاة المطلوبة وحظ هذا المخفف عنه او قد
دا على قدر النعمة منعم عليه ومحسن اليه بما يفوق ما انعم

به على غيره وذو البلاء منعم عليه بنقص بلائه من بلاء غيره
وبمعافاته من الابتلاء بتلك الزيادة التي ابتلي بها غيره وانما
كان هذا الخبر بليغا في باب التاسي لانه ينقل مستعظم
البلاء الذي نزل به الى ان يستصغره باضافته الى ما ابتلي به
غيره ويحضه على شكر ما فضل به من حظ تلك المعافاة
فهذه درجة اعلى من درجة التاسي المطلق لان التاسي المطلق
لا يفيد حظا على شكر ولا تصور النعمة المحققة عن غيرها
في صورة النعمة وانما يثمر الصبر خاصة وهذا الحديث يثمر
الصبر ثم الشكر ○

اسجاع وابيات حكمية في التاسي

التاسي جنة البلاء وسنة النبلاء ○ التاسي درج
الاضطبار كما ان الجزع درك النار ○ ينبغي لذي
البصيرة ان يرى النعم في صورة العواري المرتجعة
والودائع المنتزعة فمتى لم يفعل ذلك اعظم فقدها
وجور المنعم عليه اذا استردها كما ينبغي له ان لا
يذهل عن حظوظ جنسه منها ودولتهم فيها فاذا زالت

عنه وصارت اليهم لشكر اخذهم نصيباهم وتقاضيهم
حظوظهم وليتأس بصبره عند حوزه لها دونهم فيصبر
لدولتهم الخالفة كما صبر والدولتنا السالفة وكان صدقة
المتصدقين واقراض المقرضين وضيافة المضيفين ومما
يلتحق بذلك من ضروب المواساة في المال والقوة والجاه
انما ندب اليها المواسون فيها ليستبقوا النعم باعطاء الجنس
حظوظهم منها وفي هذه الجملة الحكمية لمن تدبرها
مقنع والله المستعان ◌ انشدني بعض الملوك لنفسه
في شدة نزلت به شعر ◌

نحن من قد علمت بطشا وحلما ولنا المجد الاغر
ولنا انفس عوارف بالدهر ماتني اذا الاسى يستفزه الاعز

وحضرته يوما من الايام شدته فانشدني لنفسه ◌

قربتني كهدي فلم يلقني اطمع في نائبيك تقربه
ثم نئت عني فلم يلقني اجزع من اصناف تعذيبه

ثم قال الحاجز فقلت ◌ ه

والحمد لله على حكمه فقوتي منه وحولي به ◌

وقال لي يوما حادثته فيه مما بعثه على التأسي انشدني في
التأسي شعرا فانشدته قول الخنساء ◌

الا يا صخر لا انساك حتى افارق عيشتي وازور رمسي
ولولا كثرة الباكين حولي على اخوانهم لقتلت نفسي
وما يبكون مثل اخي ولكن اعزي النفس عنه بالتأسي

فقال لي هذا اخلق من طليسان بن حرب وانشدني لنفسه

نفيض كما يفيض النيل جودا ونقدم مثل اقدام الحسام
وان نزلت بنا كبر الرزايا تأسينا باملاك كرام

روضة رابعة ورياضة فائقة

قيل لما عزم سابور ذو الاكتاف بن هرمز على الدخول
الى بلاد الروم متنكرا نهاه نصحاؤه عن ذلك وحذروه
التغرير بنفسه فيما يمكن الاستنابة فيه فعصاهم وامرهم
بكتمان امره ونفذ لوجهه قال صاحب الكتاب اشفق
الناس وزراء الاحداث من الملوك وعشاق الفتيات من
الشيوخ وكان يقال انما عشق الاحداث عن

عن الهوى الى رشد الراي لامرين احدهما قوة سلطان الشهوات
عليهم والثاني ان التجارب لم ترض فواهم عن مخالفة هواهم
وذو الحنكة خلاف ذلك وكان يقال الغضب
والشهوة املك بنفس الانسان لانهما قارنا ميلادها فاما
العقل فموهبة طرات عليه بعد فاستفادها وقل ما
انجح ناصح من هاج غضبه او شهوته لان هيج الغضب والشهوة
يكسف ضيا العقول كما تكسفه النشوة قيل
واستصحب سابور وزيرا كان له ولابيه من قبله وكان
شيخا ذا دهاء وحزم وسداد راي وحنكة وبصيرة
بالديانات واللغات وتبحر في العلوم وخبرة بالمكايد
فسلم اليه جميع ما يظن انه اليه حاجة او تدعوه اليه
داعيه وامره ان يحاز عنه في قرب منه ومراعاة لجميع
احواله في نهاره وليله وتوجها معا قبل الروم فتظاهر
ذلك الوزير بالرهبانية والزهد وتكلم بلسان الجلالقة
وانتمى اليهم وتحرف بصناعة الطب الجاحي وكان معه
الدهن الصيني الذي اذا دهنت به الجراح اندملت
والتامت

والتامت في الحال قال وقد راينا جماعة ذكروا انهم راوا هذا
الدهن المذكور وامتحنوه بان شرحوا اللحم ودهنوه بشي منه
فالتام للوقت الا انهم اضافوه الى الهند لا الى الصين قيل فكان
ذلك الوزير في مسيره في بلاد الروم يعاني الجراحات باذوية
يضيف اليها شيئا يسيرا من ذلك الدهن فيندمل بسرعة واذا
عني بذي جاه ورفعة داواه بذلك الدهن صرفا فيبرى مكانه
ولا ياخذ على مداواته اجرا فانتشر له ود وصيت بالعلم
والزهد قال صاحب الكتاب كان يقال من غرس
العلم اجتنى النباهة ومن غرس الزهد اجتنى العزة ومن غرس
الاحسان اجتنى المحبة ومن غرس الفكرة اجتنى الحكمة ومن
غرس الوقار اجتنى المهابة ومن غرس الكبر اجتنى المقت ومن
غرس الحرص اجتنى الذل ومن غرس الطمع اجتنى الكمد وكان
يقال الامم على اختلاف اديانها وبلدانها متفقة على مدح
اخلاق اربعة وهي العلم والزهد والاحسان والامانة
قيل فانطلق سابور ووزيره منفردين الا ان الوزير
يراعي احوال سابور فلم يزل كذلك حتى قدما القسطنطينيه

فقصد الوزير البطريك وتفسير هذا الاسم ابو الآباء ولما دخل
عليه اخبره انه قصد اليه من ارض الجلالقة ليتشرف بخدمته
واهدى اليه هدية نفيسة فقبل هديته وقربه واختبره بالصحبة
والامتحان له فوجده لبيبا ممتعا فاعجب غاية الاعجاب وجعل
الوزير يتامل اخلاق البطريك ويمتحن قواها بالصحبة بما يتفق عنده
وتحسين موقعه منه قال صاحب الكتاب كان يقال اذا
اردت صحبة رئيس فانظر ما يستميله وينفق عنده من الآلات
فان كنت مطيقا للعمل بها في طلب اقباله عليك فاقدم عليه والا
فروض نفسك حتى تعلم انك قد اطقت ذلك فاحكمته قبل
ولما تامل الوزير اخلاق البطريك وجده مائلا الى الفكاهات
معجبا بالاخبار فجعل يتحفه من ذلك بنوادره وغريبه
وملحه عجيبة فلم تطل المدة حتى حلى بعينه وقلبه وصار
الصق به من شعرات قصه وجعل يعالج الجرح ولا ياخذ
اجرا فحسن اثره وعظم قدره ورمقته القلوب قال
صاحب الكتاب كان يقال اذا كانت القلوب مجبولة على
محبة المحسنين وكانت المحبة رفقا والاحرار يكرهون الاسترقاق

فالحر

فالحر على الحقيقة من فدى نفسه في محبة المحسنين بما فاتهم على
احسانهم جهده قيل وجعل الوزير يتعاهد امور سابور في كل وقت
الى ان صنع قيصر وليمة احضرها الناس كافة على طبقاتهم وتهدد
المتخلفين عنها فهم سابور بحضورها فنهاه وزيره عن ذلك فخالفه
وتزيا بزي ظن انه ساتر لامره وحضر مجلس قيصر متفقدا
هيئته وهمته وطريقته في قصره وما استاثر به من الذخائر
وكان قيصر لما بلغه ما ظهر من سابور من لطف الفطنة وعظم
الهمة وشدة البأس في حال صباه حذره حذرا شديدا
فبعث الى حضرته مصورا ماهرا فجلى صورة سابور حال
جلوسه وركوبه وغير ذلك من ضروب احواله شاهده
عليه وقدم بتلك الصورة على قيصر فامر قيصر بتصويرها
على فرشه وستوره والات ماكوله ومشروبه فصنع
ذلك على ما امر به ولما استقر سابور في مجلس قيصر
وطعم مع من حضر ذلك المجلس اتوا بالشراب في كؤوس
البلور والذهب والفضة والزجاج وكان في المجلس
رجل من حكماء الروم ودهاتهم ذو فراسة صادقة

وفطنة ثاقبة فانكر شابور حين شاهده واستلوح من صورته
ونظره واشارته مخايل الرياسة فجعل يستشفه ولا يصرف
بصره عنه واتى ذلك المتفرس الرومي بكاس عليه صورة شابور
فتامله فانطبعت في فكرته مثالا لذلك الشخص الذي راه
في المجلس وغلب على ظنه انه شابور فامسك القدح امساكا
طويلا ثم قال رافعا صوته ان هذه الصورة لتخبرني خبرا عجيبا
فقيل له ما الذي تخبرك فقال تخبرني هذه الصورة ان الذي
هي مثال له في مجلسنا هذا ونظر الى شابور ففطن لتغيره فحقق
ما ظنه به فاعاد القول فبلغ ذلك قيصر فاحضره وساله فاخبره
ان شابور معه في مجلسه واشار اليه فامر قيصر بالقبض على
شابور فادناه فساله عن هيئته فتعلل بضروب من العلل فقال
ذلك المتفرس لا تقبلوا قوله فهو شابور لا محالة فامر قيصر
بقتله ارغاما فاعترف بانه شابور قال صاحب الكتاب
كان يقال قلوب الحكما تستشف الاسرار من لمحات الابصار
وطالما دلت اوايل المبصرات على اواخر المنتظرات وكان
يقال الحكما ان الابصار مرايا تنطبع فيها الصور المشاهدات

اذا سلمت من صداء الافات وكذلك القلوب مرايا تنطبع
فيها صور بعض الغايبات اذا سلمت من صداء الشهوات
وقيل ان من الادلة على مكاشفة الله القلوب ببعض الغيوب
ان الانسان قد يتوقع الشي يحبه او يكرهه ثم يكون ذلك الشي
للتوقع على نحو ما توقع منه وقد يرى الانسان الانسان فيحبه
لغير احسان فرط منه اليه او يبغضه لغير جناية جناها عليه
ثم يكون منه الاحسان او الجناية قيل فلما اعترف شابور بصدق
ذلك المتفرس امر به قيصر فسجن وحشد جنوده واعد عدته
مجمعا غزو الفرس وتغيير اثار ملكهم ثم انه امر فعملت صورة بقرة
من جلود البقر عظيمة وطبقت عليها الجلود سبع طبقات وصنع
له باب في اعلاها وكوة في اسفلها وامر بشابور فادخل فيها
بعد ان جمعت يداه الى عنقه بجامعة من ذهب ذات سلسلة
ليمكنه معها تناول ما يصلحه من طعام وغيره ووكل بتلك
الصورة مايه رجل من ذوي الباس والقوة يحفظونها
ويسار بها بينهم وجعل على كل خمسة رجال منهم رئيسا يضبط
امرهم وصرف امر جميعهم الى المطران وهو متولي البلد والاية

دبيبه وهو خليفه البطرك فكانت تلك الصوره تحمل بين يدي
الجيوش ويصحبها المطران فاذا نزلت الجنود انزلت في متوسطها
وضربت عليها قبه تسترها وضربت الى جانبها قبه المطران
وضربت حولها عشره قباب مستديره بها في كل قبه خمسه من
الحراس وزبيبتهم واطاف بقبه سابور بقيه الحراس فيما بين
قبته وقباب الحرس وضربت خارج ذلك له قبه كبيره يصنع
فيها الطعام للمطران ولجميع حاشيه سابور وسار قيصر
محتفلا ومجمعا اخراب بلاد الفرس لعلمه ان لا دافع عنهم قال
صاحب الكتاب كان يقال الحزم التزام مداجاة العدو ما
دامت له ريح هابه ودوله مقبله كما ان العجز اضاعه
الفرصه اذا كان ريحه فادبرت دولته فكان يقال
العاقل لا يكون في سلطان ملك اجتمعت فيه خصلتان الانهماك
في اللذات واضاعه الفرص وكان يقال تميز الملوك على
السوقه انما هو بفضيله الذات لا بفضيله الالات ويقظه
نحوطهم وصوله تذب عنهم ولبانه يكيد بها الاعدا
وجراده ينتهز بها الفرص فهذه فضيله ذاته واما فضيله
ادواته

ادواته فوفور امواله وكثره اجناده وحصانه معاقله وبحاذه
المباني الوثيقه العليه والملابس الانيقه السريه والذخاير
النفيسه السنيه والمطاعم اللذيذه الشهيه والمراكب الوطيه
البهيه فهذه فضيله تفضل بها هذه الاجناس على ما هو
دونها من اجناسها فيكون مال اوفر من مال ومعقل احصن
من معقل وجند اكثر من جند ويكون للقصر فضل على
غيره من القصور وللثوب فضل على غيره من الثياب وللذخيره
فضل على غيرها من الذخاير وللطعام فضل على غيره من الاطعمه
وللدابه فضل على غيرها من الدواب فالفضيله لهذه الاشيا
لا لمالكها قيل فلما سار قيصر بجنوده ومعه سابور على
الهيئه المذكوره قال وزير سابور للبطرك ما معناه ايها
الاب المعظم ان مما اقتبسته منك الرغبه في صالح العمل وانه
لا عمل افضل من تنفيس كربه عن مجهود وجر نفع الى مضطر
وقد علمت ايها الاب استقلالي بمعاناه الجرحى وان نفسي
لتنازعني الى صحبه الملك قيصر في سفره هذا فعسى الله
ان يستنقذ بي نفسا صالحة يترحم من اجلها علي ويبذ[illegible] قلبي

بجد منهما ويحسطي لها فكره ذلك البطرك كراهة شديدة
ضنا به وحرصا عليه فلم يزل يضرع اليه ويملقه ويقرب له
العود الى ان سمح له بالسفر وزوده وكتب معه كتابا الى المطران
يخبره فيه انه قد بعث اليه منه بسويدا قلبه وسواد بصره
فليحله من نصيبه باعلى المراتب وليستفض برايه فيما اشكل عليه
فقدم وزير سابور على المطران فعرف له حقه وانزله معه
في قبته وجعل زمام امره بيده ثم ان الوزير تنفق عند المطران
بما يعجبه واستماله بالملاطفه والخلب وجعل كل ليله يسامره
بالاسمار الممتعه رافعا بها صوته ليسمع سابور حديثه فيسليه
ويونسه بذلك ويدس في احاديثه بالرموز والكنى ما يريد ان
يطلع عليه سابور من الامور فكان سابور يجد لذلك راحة
عظيمة وكان الوزير قد اعد من المكايد لتخليص سابور انواعا
رتبها واسس لها عندما قدم على المطران قال صاحب الكتاب
وكان يقال من ظن من الملوك ان لعلمه فضيله على علم وزيره
فقد غلط فان اضاف الى هذا الغلط مخالفه الوزير النصيح
الخبير بغير حجه ظاهره لم يفلح وذلك لان الملوك ابدا يتفقهون
في

في سياسه من ملكوا تصريف امره لا غير فاما الوزرا
فانهم يتفقهون في سياسه من دونهم من الرعايا وفي معامله من
فوقهم من الملوك وهم اشبه شي بالجوارح المتوسطه
القوه والباس فانها تصيد وتفترس ما ضعف عنها ويصيدها
ايضا جوارح اشد منها وهي اعرف الجوارح كلها بمكايد
التوقي والاحتراس ومكايد التكسب والافتراس وكان يقال
انما حض الملوك على المشاوره للاستظهار على الاراء لا
لتقليد الوزراء وتفسير ذلك ان الملك لا يلزمه العمل بما
يشير به عليه اذ لم تظهر سداده لكنه يستعرض راي
وزيره فان ظهر له صوابه عمل به فكانه عمل براي نفسه
واستظهر بموافقه وزيره وهذا لان الملك اعقل
وان كان الوزير اعلم قال الرشيد رحمه الله للاصمعي
انت اعلم منا ونحن اعقل منك وليس نقيض العقل
الجهل لكن نقيضه الحمق فقد يكون العاقل جاهلا بكثير
من العلوم قال سيد العقلا محمد رسول الله صلى
الله عليه وسلم انتم اعلم بامور دنياكم وانا اعلم بامور

دينكم وقد قال الهدهد لسليمان عليه السلام احطت بما لم تحط به
ولولا فضل عقل الملك على عقول العلما لما تواضع للعالم اعظاما للعلم
وكم عالم اقصاه ملكه لجهله الذي دل عليه قبيح فعله وقوله
لا لجهله وكان يقال احسن الوزرا حالا من اعد لكل امر
جوره وقوعه عدته واسوأهم حالا من توكل على لطف فطنته
وقوة حيلته ودربه ممارسته فترك الاعداد للنوازل ثقة
بنفسه وانما هو كمن ترك تزوير القول وترويته توكلا على فصاحة
لسانه وقوة بديهته وجده عارضته فيوشك ان يستولي
عليه الحصر في بعض مقاماته قيل وكان مما اعده وزير
سابور من مكايده انه امتنع من مواكلة المطران وزعم انه
لا يريد ان يخلط بالطعام الذي زوده البطرك طعاما
غيره فكان اذا حضر طعام المطران خرج هو من ذلك
الزاد فاكل واطعم منه ولم يزل قيصر يسير في جنوده
حتى بلغ ارض فارس فاكثر فيها القتل والسبي وتغوير
المياه وقطع الشجر واخراب القرى فشا اثره على الارض
وعلى اهلها وهو مع ذلك يواصل السير ليستولي على دار

ملك سابور ويبعث من بها من روسا القرى قبل ان
تضطرهم مخافته الى ان يملكوا عليهم رجلا يجمع كلمتهم
ويذب عنهم ولم يكن للفرس همة الا الفرار والاعتصام
بالمعاقل وسار قيصر حتى بلغ جندي سابور وهي اذ ذاك
دار الملك فاحاط بها جنوده ونصب عليهم المنجنيق ولم
يكن لمن بها من الفرس قوة على اكثر من ضبط اسوار
المدينة والقتال عليها وكل ذلك فلم تعرفه سابور مما يفهمه
من رموز احاديث وزيره التي يسامر بها المطران كل
ليلة وكان سابور فيما ذكر عنه لم ينطق بكلمة منذ
سجنه قيصر في تلك الصورة فلما علم ان قيصر قد ثقلت
وطاته على دار ملكه وثلم اسوارها بالمنجنيق واستضعف
من بها من حماتها على صبره وساطنه بوزيره وخامره
الياس من النجاة فلما جاه الموكل بطعامه قال له ان هذه
الجامعة التي في عنقي قد اضرت بي اضرارا شديدا فقل
لمولاك يقول لك سابور لعلك ان تحسن الي فتوسعها
علي او تحول بينها وبين عنقي بخرق من الحرير فان ذلك

يعينكم على سلامة نفسي ان اراد ثمن ذلك وجا المتوكل
بطعام شابور الى المطران فاخبره بمقالته وسمعها وزير
شابور فعلم انه قد عيل صبره وشاطنه وقصد بهذا القول
الاطلاع وزبره على ذلك فلما جلس لمسامرة المطران ليلا
قال له رافعا صوته ليسمع شابور انه كان عندنا بجليقيه فتى
وفتاة في نهاية الحسن والظرف وكان اسم الفتى عين اهله
واسم الفتاة شيدة النار وهما زوجان متحابان فجلس عين
اهله يوما مع اخوانه فتذاكروا النسا فوصف احدهم
امراة كان يعرفها بحسن بارع وظرف رايع اسمها شيده
الذهب وهي بقرية نازحه ولها زوج يسمى الذيب فطمحت
نفس عين اهله اليها طموحا شديدا قال صاحب الكتاب
يقال من شره وقع فيما كره وكان يقال العقل كالبعل
والنفس كالزوجه والجسم كالبيت لهما فاذا كان سلطان
العقل على النفس مبسوطا اشتغلت النفس بمصالح
الجسم تجلبها وبمضاره تجتنبها كما تشتغل المراه التي
قهرها بعلها بمصالح بيتها وبعلها فصلحت الجمله فان كان

السلطان للنفس على العقل كان سعي النفس فاسد ونزعاتها
مذمومه كفعل المراه التي قهرت بعلها قال وزير شابور
فانطلق عين اهله الى قريه شيده الذهب وراها فاعجبته
ولم تكن احسن من امراته ولكن النفوس يعجبها التنقل
في الاحوال اذ كانت نقلت بالتركيب الى عالم الكون ثم تنقل
بالتفريق الى عالم الفساد وما افتتح امره بالنقله واختتم
امره بالنقله فاليق الاحوال بالمتوسط لعمره النقله
قال وطالبته نفسه بالاكثار من النظر اليها فاكثر
التردد الى منزلها حتى فطن له بعلها وكان غليظ الطبع
شديد البطش فوثب عليه فقتل فرسه ومزق ثيابه
واستعان باصحابه فادخلوه بيتا من داره وربطوه
الى ساريه ووكل الذيب بحراسته عجوزا عورا جدعا
الانف قطعا اليد شنيعة الحال فلما كان الليل اضرمت
نارا بالقرب من عين اهله وجلست تصطلي فتذكر
عين اهله ما كان فيه من الرفاهيه والدعه والعز
والانس فبكا فقالت له العجوز ايها الفتى ما ذنبك

الذي اورد لي موارد الذله والشده والمخافه فقال ما علمت انها
العجوز لي ذنبا فقالت اكثر اهل البلوى ينتحلون هذه الدعوى ولو
انهم انصفوا لعرفوا واعترفوا ان ما بهم من المساة عقوبات على
الاساة ولكن اخبرني عن نفسك فلما اخبرها خبره ونبهته
على جرمه وبينت ما خفي عليه من شره وظلمه وانسته باحاديثها
ثم قالت له عليك بالتاسي وتذكر ما عرفته من الشدايد النازله
بغيرك ولا تذهل عن شكر النعمه العظمى في استبقا نفسك
واشعر قلبك قرب الفرج وتيسر المخرج واحذر الياس من
كشف البلا فقال لها هل لك في اطلاقي من وثاقي لتتخذي ذلك
برا فاكون ما بقيت لك عبدا وولدا فقالت له ان المحجوب
بحواثه نسك تجربتك عن كثير من حقايق الامور وذلك وعدم
هو الذي اورد لك هذا المورد ثم صمتت عنه فندم على قوله
فلما اصبح اتاه الذيب فعاقبه ونال منه ثم خرج عنه
فقضى نهاره بالاماني فلما دجى الليل جزع فبكى وجات
العجوز كعادتها وامرته بتذكر مصايب الناس والتاسي
بهم فقال لها هان على الطليق ما لقي الاسير فضمنت عنه
فلما

فلما اصبح عاود الذيب عقوبته وتهدده وخرج عنه
فقضى نهاره بالاماني وجا الليل فلم توقد العجوز نارا
وجعلت تخرج من البيت ثم تعود اليه والقلق عليها باد
فساطته واشتد بكاوه فقالت له يا فتي اما هان فيما
تشاهده من شجا لي ما يمنعك عن قولك هان على الطليق ما
لقي الاسير فاسمع احدثك انه كان لي في شبيبتي بعل
يحسن الي وولدت له اولادا فجنى جنايه فقتله السلطان
وباعني واولادي متفرقين فتنقلت في الملك دهرا ثم
صرت الى صاحب هذه الدار فكلفني ما لا اطيق ففررت منه
فادركني فجدع انفي ثم عاودت الفرار فادركني ففقا
عيني ثم عاودت الفرار فادركني فقطع يدي واقسم لي
لين عاودت الفرار ليقطعن رجلي وقد اشتدت رحمتي
لك فعزمت على ان اخلصك الليله واقتل نفسي لاستريح
مما انا فيه ثم حلته وارادت قتل نفسها فمنعها وطالبها
بالمسير معه الى قريته فقالت ان الكبر ليعجزني عن ذلك
فقال ان عجزت حملتك وخرج بها حتى انتهى الى قريته

فاتخذها والدة مبرورة مشكورة فقال المطران
ما اعجب احاديثك ايها الحكيم ولقد استعذبت السفر لمتعتي
بانسك وبات شابور يفكر في حديث وزيره ففهم انه كنى عنه
بعين اهله لانه ملك فارس وعينهم التي ينظرون بها
وكنى عن ملكه بسيدة النار لان رعيته يعبدون النار وكنى
عن ملك الروم بالذيب لعشوته عليه وبطشه به واسره له
وكنى عن بلاد ملك الروم بسيدة الذهب لكثرة خراجها
وكنى عن طموح عينه الى مشاهدة بلاد الروم بطموح
عين اهله الى مشاهدة سيدة الذهب وكنى الوزير عن نفسه
وذلك للمطران وشرح له ما نزل بشابور بالعجوز العورا
الجزعا القطعا السيئة الحال وانه عرفه انه تخلصه في
الليلة الثالثة وتحمله ان عجز عن المشي حتى توصله الى المدينة
فطمع شابور في قرب الفرج وعاود الثقة بوزيره
قال صاحب الكتاب عفا الله عنه كلما قدمته
من الاحاديث المنسوبة الى الوليد بن يزيد وسميره والى
المامون وسميره والى شابور ووزيره فليس لي فيه صنع

سوى

سوى تغيير اللفظ وتحبيره وقد انتزعت من هذا
الحديث البيان على كيفية عود شابور الى ملكه وما
عامل به قيصر من اسره وفكه لا اختم به هذه السلوانة
بعد ان قدمت امثالا وافية تعد رابعة ارصعها بالكلمات
المحكمات اللاتي هن حل المراد المطلوب بالمثل المضروب
فاقول لو ان تلك العجوز التي اخبر عنها وزير
شابور تحسن تصنيف الاقوال وتصريف الامثال لامكن
ان تجيب عن اهله اذ زعم ان لا ذنب له بان تقول هكذا
قال الراعف للاثر قط فلم يصدقه حتى اذا علم شانه
بين له احتجاب نظر فطنته عن نظر بطنته فان كنت
يا فتى لا تنكره ان تبصر بعيوبك وتذكر بذنوبك
سالتك عن خطبك ثم انباتك بدايك وبطبك وكان
يقال قبيح باللبيب ان يعجبه مدح المادحين وتغضبه
قدح القادحين قبل ان يتفقد اعماله فينظر ما
عليه وماله ومتى اطرح هذا الادب خسر خسرانا
مبينا وفضل عليه الناقصات عقلا ودينا

لان المراه اذا وصف وجهها بما تحب او بما تكره امتحنت
ذلك بالاطلاع في المراة وكان يقال في مثل سائر
امن مبكياتك لا امن مضحكاتك وحدثته ان جارية
عزيزة كانت اذا ارادت خالاتها اظهرن لها الاعجاب
خلقها واخلاقها واذا فسرنها واذا زارت عماتها نبهنها على معايبها
وحضضنها على الادب الذي يعلي النسيم ويغلي القيم فقالت لامها
اذا زرت خالاتي اضحكنني واذا زرت عماتي ابكينني فقالت لها
امها امن مبكياتك لا امن مضحكاتك اي عليك امن مبكياتك
فالزميه ويمكن ان يسال عن اهله تلك العجوز عن حديث
الراعف والارقط فيمكن ان تقول لو ان فرسا يسمى الراعف
لسبقه كان لفارس يحسن القيام عليه ويعده لمهماته فخرج به
ذات غداة الى مرج فشكله بشكال من جلد لم يدبغ وازال
سرجه ولجامه فمرغ ورعاه ثم اعادهما عليه وازال احد طرفي
شكاله ففر الراعف وجمح ولم يثنه شي حتى بلغ الصحرا وقد
ابتل شكاله بامواه خاضها ويبس فاشتد على رسغه واضر به
والما فارتد فطلبه حتى يبس منه ومنع الراعف اللجام من الرعي
وعلم

وعلم الما واضر بيده الشكال وطال الامر به حتى اشفى على
الهلكة فمر به نمر يسمى الارقط فعاف افتراسه ورحمه
لسوء حاله فلو شا الله عز وجل ان يهب لها فطنه وان يلهم الارقط
حكمة كما فعل بالهدهد والنمله وكلب اصحاب الكهف لم يكن ذلك
من آيات الله عجبا ولامكن ان يسال الارقط للراعف عن جرمه
الذي عوقب بتلك العقوبه لاجله فيزعم ان لا ذنب له ويرغب
الى الارقط في تمام النعمه في استنقاذ نفسه واتخاده عبدا
وداعيا بقطع اللجام والشكال عنه ويمكن ان يقول له الارقط
انك لكاذب في زعمك او جاهل بجرمك فان كنت كاذبا فما احب
ان اصطنع عندك معروفا ولا اتخذك وليا وكان يقال الصدق
شاهد على كرم الابوه وكمال المروه - اختصاص الفضلا بالصحبه
واختيار العقلاء للمنه وكان يقال احذر الدنو من ذوي الدناه
لان لا تعديك طباعهم اللئيمه واخلاقهم الرذيله وكان يقال
من تخلق بالكذب علم رياوه ومهانته وعدم حياوه وامانته
فان عاقد لم يوثق بعقده وان واعد لم يسكن الى وعده وان
آخا كان اخاوه ممذوقا وان خاصم كان بالفجر خليقا وان نظلم

فشرعت اليه التهمة وان تالم تقاعست عنه المرحمة ثم يقول
الارقط وان كنت جاهلا بجرمك فجهلك به اعظم منه ومن جهل
اساءته اصر عليها وكان يقال اجتنب الجاهل فانه يجني على
نفسه وهي احب النفوس اليه وكان يقال لا فرق بين الكاذب والجاهل
في العدول عن الحق الى الباطل الا من حيث ان الكاذب يعلم قبح ما اتاه
والجاهل يرى القبيح حسنا وهو شر منه ويمكن ان يقول الارقط
للراعف اذكر لي امرك فاذا ذكرته امكن ان يقول له ازال جاهلا
بذنوبك فاعلم انك قطعت بفاسك الذي اعددته لمهانته في طلبك
وكفرت احسانه اليك واضررت به في طلبك وغصبته السرج
واللجام وحلت بينه وبين نفسك التي هي مالك له واسات اليهما
في تعاطيك بالوحش ما لا تطيقه وشر من ذلك حمله اصرارك
على ذنبك اذ كان يمكنك العود الى سيدك قبل ان تضعف عنه
ويمكن ان يقول له الراعف اما اذا كشفت لي ما كنت محجوبا عن
فتحه بجهلي فلا انطلاق لنفسي الخاطئة وثاقا ولا تنفس لها خناقا
وامكن ان يقول الارقط اما بعد ان وقفت نفسك عند قدرها
واستعملت الحكمة التي وعيتها فقد تاهلت لتامين المخوف
واصطناع

37
واصطناع المعروف ثم انه لم يسوغه اربه ويبلغه مطلبه وامكن
ان يقول له ايضا اسمع مثل الغر الذي يصحب النعم بما يعرضهما
لسلبهما ويجعلها ذريعة الى مساخط ربها لو ان رجلا ملك جحشا
ضئيلا مهزولا فاحسن القيام عليه حتى كبر وسماه يعفورا وكان
كل يوم يذهب به الى حديقة له قد احدق بها سورا وفجر الانهار
خلالها تفجيرا فهي ذات اشجار مثمرة ورياحين منورة واكلاء
زاوية وخضرة فيتخذ له طولا الى وتد في بهرة تلك الاكلاء
وعلى مشرعه من ذلك الماء ويظل الرجل في حديقته لما يعنيه
وامرها مراعيا لليعفور فيوما من الايام خرج من الحديقة لبعض
شانه فلما انس اليعفور الخلوة خامرته حميا النخوة فنازع
الوتد فقلعه وجاذب الطول فقطعه ثم لقي الاشجار
فجعل يتحكك بها فكم هنالك من ساق كسير وغصن هصير
وثمر نثير ثم اتى الرياحين فاتخذها متمعكا ومتمرغا ولم
يبق فيها لناظر ولا لناشق مبتغا وكان يقال الحمقاء والجهال
اولوا مفسدة لكن ليس من سبيل متحد فالجاهل يفسد
لعدم تهديه للاصلاح مع رغبته في الصلاح والاحمق يفسد

لانه يتلذذ بالاذا والافساد ويتالم بجريان الامور على الاستقامه والسداد
لمقتضى اختلال مبناه وقباحه معناه ۞ ثم ان اليعفور من بعد واجموحا
مزوجا فاعترضه ساق شجره منكسره فوثب ليتخطوه ويتجاوزه
فقصرت به وثبته فبعج العود بطنه وتدلت حشوته وهنالك
غراب يقال له النعاب فنزل امامه مسرورا بمصرعه ومؤملا
ان يظفر منه بشبعه وكان يقال ثلثه ترفع عنهم
الرحمه وتنزل بهم الشماته في ثلثه احوال احدهم المبذر لماله
حين تنزل به الفاقه والثاني الشره النهم حين تصيبه الهيضه
والثالث الظالم المعتدي حين تنزل به العقوبه وكان يقال
النعم محتاجه الى الاكفاء احتياج العقايل من النسا فاذا
صادفت النعم كفوها حسنت به وحسن بها واهل
الاشر والبطر ليسوا من اكفاء النعم كما لا انكحا في الارذال
عقايل الحرم ۞ فلو اراد الله سبحانه فاعطى اليعفور والنعاب
افهاما كما اعطاهما الهاما وابدلهما من النهيق والسجيج
كلاما لم يكن ذلك من اياته عجبا ولامكن ان يقول النعاب
لليعفور كيف وجدت عاقبه البطنه والاشر وكفران النعمه
التى

التي يجب ان تشكر فيقول اليعفور متى كان ذلك مني فيقول النعاب
بحق قيل الجهل داعيا والجاهل ميت الاحيا وكان
يقال اجعل رحمتك للجاهل من جهله شكرا لمن اثر لك عز به العلم
عليه وعامل الجاهل بنفسو تلك لانه تشف نور علمه واثر الاتصاف
بالرذيله على الفضيله وكان يقال تعامي المذنب عن ذنبه
الذي سلف ذنب اخر مونتف ۞ ثم يقول النعاب لليعفور
كانك لم تعرف قبح ما صنعت في بستان سيدك الذي انقذك
من التلف واسمنك بعد العجف اذ تجوس غياضه وتدوس
رياضه وتنثر ثماره وتفسد رياحينه ونواره ويمكن
ان يقول اليعفور سيدي ادخلني بستانه واباحني ما
فيه فيقول النعاب كلا ولكن كان يقال
اذا عطلت الرويه بطلت القضيه وكان يقال انما توجد
القضيه المرضيه عند من رسخ في علم التجربه وفقه في
معاقد السياسه وايد باستنارة البصيره وخلص من
شوايب الهوى وكان يقال صقال النفس الناطقه بمواظبه
الفكره الصادقه ومن لا فكره له فيما خلق لاجله مسلوب

معنى الانسانية وحقيقة الروحانية ثم يقول الغاب للبعفور
ان سيرك لا دخلك يستنان بغمه على حلمه لا على حكمك كما وقع
في وهمك الا ترى انه جعل لك طولا وقد ايضبطانك
عن التعدي ضبط الاحكام واغنانك بالاب عن الثمر اغنا
البشر بالحلال عن الحرام وقلما يلبث البعفور ان تزهق
نفسه فيقع عليه الغاب متحكما في اطايبه بحكم الوراث
في ذخاير التراث ثم اذا اعترض سبيل البعفور سؤاله
ومغبة بطره قال له بعدت من عاد كثمود بعد عاد وثمود
قال صاحب الكتاب عفا الله عنه ويمكن ان تقول
العجوز لعين اهله ان فهمت ما اسمعتك استدللت به على
قبح مكتسبك واستقللت ما نزل من العقوبة بك ولعلك ان
تذكر ان جماعة ممن عرفت قد هلكوا بمثل ما اقترفت فتقدع
نفسك عن هواك ويكون لك اسوة فيمن سوال قال ويمكن
ان تقول العجوز لعين اهله في الليلة الثالثة حين شاغفه بها
فقال هان على الطليق ما لقي الاسير ان عدم تهددك لسديد
الاراء او قتلك في تقحم البراء كالذي صنع الغزال بالصبي

ويمكن ان يسالها عن ذلك لو ان رجلا كان له ابن مكرم عليه
فالحقه بعض معارفه بغزال يسرح عند باولد فشغف له
ابنه فارتبط له شاة ذات لبن وجلاه بحلي نفيس ولبث الى
ان اشتد وشدت قرنه وهو لا يعرف الا الانس ونجم قرنه
فعجب الغلام له وسال عنه فقيل له انه سيكبر ويكون من
صفته كذا وكذا فجعل يستبطي ذلك ويرتاح الى تعجيله فامر
ابوه فاني بظبي ثني السن قد استكمل نموه فاعجب الغلام به
فرفق به اهله وانسوه بالغزال فانس للمجانسة فجللوه
وحلوه فلو ان الله سبحانه الهمهما فطنة ومعرفة كما الهم
الذيب الذي كلم رافع بن عميرة الطايي فدعاه الى اللحاق
برسول الله صلى الله عليه وسلم والايمان به فاطاع دعوته
وقبل نصيحته لم يكن من اياته عجبا ولا امكن ان يقول
الغزال للظبي ما ظننت قط ان ارى ان لي شكلا فيقول
الظبي له ان اشكالك لا تحصى كثرة ويخبره عن توحش
الظباء وانحيازها الى الجبال والغياض والفلوات وعن مراعيها
وموارذها وتناسلها فيرتاح الغزال الى ذلك ويتمنى رويته

والآن فيه فيقول له الظبي لا خير لك في هذه الأمنية
وأنت اليوم في رفاهية وأمنة لم تنل فيهما غيرهما ولعلك لو فارقتهما
لندمت وكان يقال ثلاثة من لم يرثها بمنزلتها استرعت مفارقة
والتحول عنه الملوك والعلماء والنعم وكان يقال الأماني في الشدة
ارتياح وفي الرخاء جماح فلا يصلح للعاقل أن يبيح نفسه الأماني
إلا مقدارا يونس الوحشة وينفس الكرب فإن استيلاء الأماني
على النفوس كثيرا من السفل الذين يجعلون الرؤوس أذنابا
والأذناب رؤوسا ويسعون في تغيير صورة الصواب فيقول
الظبي لا بد لي من اللحاق بأشكالي فيفند رأيه في ذلك ويمكن
أن يقول له أرأيت هذا الجل وهذا الحلي الذي أنت بهما مسرور
ربما كانا أعوق الأشياء لك من نجاتك وأشدها استدعاء
لكيد عداتك وكان يقال في مثل ثار لعند قرطيك
وحديثه أن عجوزا من الأعراب غرت شابا فتزوجها
فلما زفت إليه ندم وعاملها بما يحبها فظنته محبا لها فطالبته
بأن يشتري لها قرطين فماطلها فتحينت غيبته وأخذت شاتين
من غنمه فاشترت بهما قرطين ولبستهما وهو غائب فبصر بها

عند مارد لبعض أهل الحي فبيتها ليلا واقتلع أذنيها مع القرطين
وبصرت به حتى فر فعرفته وقدم زوجها فأخبرته وقال ألا
تطلب بثأري فقال ثار لعند قرطيك تنسب الجناية إليهما لأنهما
حملا السارق على ما فعل وكان يقال قل ما توقر رجال الزينة
والبشارة إلا كانت فيه غرارة وكان يقال إن من أحس
بالرذيلة من نفسه التمس الفضيلة في لبسه ومن فطن لنقيصة
ذاته كملها بتحسين أدواته ولهذا يزين الأعمى عصاه ثم
تحلي الأمة الفرعاء زندها وأصابعها وكان يقال البزة الشينية
وإن كانت تشتمل أبصار الطغام إلى صاحبها فإن لها مضار
جلايا وخفايا ومن خفايا مضارها أن صاحبها إن أساء
عد قليل إساءته كثيرا وصغيرها كبيرا وإن أحسن فقليل
إحسانه لا يشكر وكثيره لا يستندر ولهذا تجنب
حذاق المتكلمين في العلوم والعظات حسن الشارة في
المقامات المشهورة والمشاهد المحضورة وكان يقال
من حدث له النسك فافتتح أمره بلبس خشين الملبوس
فليس له وصول ومن حدث له فافتتحه بلبس نفيس فليس له

بحصول وان راى الظبى ان الغزال عنز منته عما طمحت نفسه
اليه خاف عليه ان يقطع به قبل ادراك طلبته لكونه غر لا يعرف
التحرز من مكايد الانس مع كونه لا يهتدي الى ما اراد سبيلا
ولا يجد عليه دليلا فلا بد بدا من الكون معه ليقضي حق
حرمة العتبه ويوانسه في اثقال كلفته وكان يقال لكل واحد
من المترافقين في السفر ثلاث حقوق ان خاف على نفس او مال
كلاه فصانه وان احتاج الى عون بالبدن اعانه وان افتقر
الى زاد مانه فان صاحب في الحضر وجبت له مع هذه
الحقوق ثلثة اخرى مسامحته بصغاير ذنوبه ومناصحته
في ظاهر عيوبه وتحجيمه في مشهده ومغيبه فان ترقى عن
ذلك الى المصافحه اندرجت هذه الستة في ثلثة قبول
الاعذار والمكاشفه بالاسرار والمعاونه بالبدن والمال
على جلب المسار ودفع المضار فان ترقى عن ذلك الى الاخوه
اندرجت هذه الثلثة في ثلث وهي اباحة المال بلا استيمار
ومحو الذنوب بلا اعتذار وحصول الانس الذي لا يتخلله
نفار فان ترقى عن ذلك الى الخله حصل الاتحاد في المعنى

وفي ذلك اقول

لا يني العاذلون في وظنوا ان خلي شي سواي فتاهوا
قلت قد طال سعيكم يا حيارا انا خلي خلي انا بل انا هو

ثم ان الظبي يتحين وقتا يمكنهما الهرب فيه ثم يخرجان جميعا
حتى يلحقا بالصحراء فاذا اصحر الغزال مرح واستن وذهب
بعدوا واركبا راسه فيسقط في اخدود ضيق قد قطعه
السيل فينشب فيه ولا يستطيع الخروج منه وينتظر
ان ياتيه الظبي ليخلصه فلا ياتيه فلبث فيه يومه واما والد
التاجر فانه اذا عدم غزاله وظبيه جزع وسلب القرار
واشفق ابوه عليه فاستدعى كل من يعاني صيد الوحش
ليكشف بذلك البلد فعرفهم القصه وكلفهم طلب الظبي
والغزال ووعد من يجدهما او احدهما وعدا مرغوبا فيه
فانبثوا في سهل الارض وحزنها يطلبون وركب التاجر
دابته وفرق اتباعه على ابواب المدينه ينتظرون من
ياتي من الصيادين وينطلق هو ومعه عبدان له حتى
ياتي الصحرا فيرى على بعد رجلا منكبا على شي بين يديه

فيسرع نحوه فاذا هو صياد قد اوثق ظبيا وهو يريد ذبحه
فيتامل التاجر الظبى فاذا هو ظبى ابنه فيخلصه من يديه
ويامر عبديه فيفتشانه فيجدان معه الحلى الذى كان على الظبى
فيسأله عن قصته فيقول انى بت البارحه فى الصحرا انصيد
ونصبت شركا وكمنت قريبا منه فلما اصبحت جا هذا الظبى
ومعه غزال فذهب الغزال يعدوا فى غير طريق الشرك
فغاب عن بصرى وجا هذا الظبى يمشى حتى حصل فى الشرك
فاخذته وقصدت به المدينه فلما بلغت به هذا الموضع
ظهر لى انى مخطى فى ادخال الظبى المدينه لعلمى انه لبعض الملوك لغضب صح
وانه اذا راى معى طولبت بما كان عليه من الزينه فرايت
ان اذبحه فادخل به لحما فهذا خبرى فيقول التاجر لقد
جنى عليك شحك الخيبه فماذا عليك لو اطلقت الظبى فذهب
وحصلت انت على زينته ولقد صدق الحكيم فى قوله لا
يدخل الشره مدخلا الا اعقبته الحرمه ولا يدخل البخل
مدخلا الا اعقبته الحسره ولا يدخل الطمع مدخلا
الا اعقبته المذله ثم ان التاجر يصرف الظبى الى منزله
مع

مع احد عبيده ثم يقول للصياد ارجع فاريني الجهة التى توجه
الغزال لاحسن اليك فيرجعان جميعا الى تلك الجهه ويذهب
الصياد ينفر الارض ويتشوف على الاراضي المشرفه ويمشى
التاجر على رسله فيسمع نزيب الغزال اى صوته فيصيح به التاجر
فاذا سمع الغزال صوته عرفه فاكثر النزيب والتاجر
يتبع الصوت حتى يقوم على الغزال وهو فى ذلك الاخدود منتشب
فياخذه ويدعوا الصياد فيهب له ما ارضاه ثم ينقلب
بالغزال الى منزله فيعاود ولده المسره ويعامل الغزال
الظبى بالنفور فيمكن ان يكون بينهما عتاب فيقول الغزال
للظبى انك خذلتنى واسلمتني احوج ما كنت الى عونك
واوثق ما كنت بنصرك فيقول الظبى كلا ولكن انت محمول
بالغره والبله على نعمه من لا ذنب له ثم هلا لمت اشرك
الطموح وبطرك الجموح واما انا فلو سالمني الشرك
لقل لبثك فى الدرك وبعد فهذا كمله حين تحمله المانور
من حديث سابور قيل ان وزير سابور دخل المطبخ
الذى يصنع فيه الطعام للمطران واصحابه وجميع الموكلين

بسابور من خاصتهم وعامتهم فالقى في جميع الاطعمه مرقدا
قوي الفعل ولما حضر المطران واصحابه انفرد وزير سابور
بالكزاذه لعادته التي رتبها فقل ما لبثوا حتى استولى المرقد
على جميعهم فانجدلوا في مراصدهم وعلى فرشهم وحيث ما كانوا
ففتح باب الصوره عن سابور واستخرجه منها وازال
ما معتد على حال طمانينه وامنه واخذ من السلاح واللباس
ما يعينهما على امرهما وتنقلا من جهة الى جهة حتى خرجا
من المعسكر وتوجها نحو المدينه حتى انتهيا الى سورها
فصاح بهم الحراس فتقدم اليهم الوزير وزجرهم عن
رفع الاصوات واسر الى بعضهم بسلامة الملك وارسله
الى زعماء الفرس فاقبلوا وكشفوا عما ارسل به اليهم فعلموا
صحته وامر بفتح باب المدينه فدخل سابور واجتمعوا فبذل
الرغايب للمقاتله وامرهم باخذ الاهبه واعداد العده
والخروج من المدينه اول ما يضرب الروم نواقيسهم من
اخر الليل ففعلوا ثم خرج اليهم في حماته وخواصه
نشارفهم ورتبهم وخصصهم وذمرهم واوصى امراهم

بالاقراب

بالاقتراب من عسكر الروم والقيام على ترتيب وتاهب حتى
اذا قرعت النواقيس الكره الثانيه حملوا على الروم فصدموهم
بغته من غير تثبت ولا تلبث وانتخب هو جمعا عظيما فيه انجاب
الفرس وعظما الاساوره فقام هو معهم واعلمهم انه
يقصد بهم اخبية قيصر ونهى من ظفر منهم بقيصر عن قتله
والروم غير متاهبين ولا حذرين لانهم على يقين من ضعف
اعدايهم عن مقاومتهم على سور مدينتهم وانهم قد بنوا اسوار
مدينتهم بالصخر خوفا من ان يهجم الروم عليهم فما شعروا
حتى دهمهم سابور بجنوده فتحكموا في نفوسهم كيف
شاووا واوطاهم اشد وطا واسر سابور قيصر واكثر
خاصته فاحتوى على خزاينه ولم ينج من جنوده الا
افرادا وامتلات ايدي الفرس من الغنايم والاسرى وعاد
سابور الى ملكه يقسم الغنايم والاسرى وافاض الصلات
على مدينته واحسن الى حفظة ملكه وشرفهم وفوض
امره الى ذلك الوزير الذي استنقذه ثم احضر قيصر
فلاطفه وقال له اني منتقمك بما انفقت على وغيرت

مواخذك تنضيقك بحبسي واخذك باصلاح ما افسدت من
جميع ممالكي فبني ما هدمت وتغرس مكان كل شجرة نخلة
قطعتها من زيتونة وتطلق من في بلادك من اسرى الفرس فضمن
له قيصر ذلك كله ووفا له به ولما انتهت النوبة الى ما تسلم
من سور جندي سابور قال سابور لقيصر انما نبنيه من
تراب ارض بلادك فامر قيصر رعيته بحمل التراب من بلاده
الى جندي سابور قال سابور لقيصر فرفع به ما تسلم من سورها
ولما تم لسابور ما اراد من ذلك كله احسن الى قيصر واطلقه
وقال له خذ اهبتك واعد عدتك فاني قاصد ارضك
عما قريب قال صاحب الكتاب عفا الله عنه قد بلغت بهذه
السلوانة مداها فلناخذ فيما عداها

السلوانة الثالثة وهي فيما يتم التاسي من الصبر

قال الله ربنا تقدس اسمه مخاطبا صفيه المكين لديه
ونبيه العزيز عليه واصبر وما صبرك الا بالله ولا
تحزن عليهم ولا تك في ضيق مما يمكرون وهذا
حين تالب المبطلون عليه وقصدوا بالمكر والمكروه اليه

كما اخبر الله عز وجل عنهم بقوله واذ يمكر بك الذين
كفروا ليثبتوك او يقتلوك او يخرجوك الاية
وكان رؤسا قريش اجتمعوا بدار الندوة ليتشاورون في امر
النبي صلى الله عليه وسلم فاشار بعضهم بان يثبتوه اي
يحبسوه واشار بعضهم بان يخرجوه اي ينفوه واختلفوا
وكان ابليس قد حضر ناديهم وانكروا حضوره فزعم انه
رجل من اهل نجد وكان كلما اشار رجل براي اظهر ابليس
خطا ذلك الراي الى ان قال ابو جهل الراي ان نختار
من كل قبيلة من قبايل قريش رجلا فاتيا ونعطي كل رجل
منهم سيفا ويأتون محمدا فيضربونه باسيافهم فيقتلونه
ويفترق دمه في القبايل فيعطون ديته فقال ابليس الراي
ما راه الفتى فصوب رايه وانصرفوا مجمعين على ذلك
فاطلع الله نبيه على مكرهم وامره بالهجرة وعصمه
وعصمه من كيدهم وجعل له الدايرة عليهم وكان
مما انزل الله في ذلك قوله تعالى ولقد كذبت رسل
من قبلك فصبروا على ما كذبوا واوذوا حتى اتاهم

نصرنا ولا مبدل لكلمات الله وقد علمنا من كلماته سبحانه
قوله ان الله مع الصابرين فهذا لا تبديل له ومن كان الله معه
فالعاقبة له ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم لعبد الله
بن مسعود واعلم ان النصر مع الصبر وان الفرج مع الكرب
وان مع العسر يسرا وقال صلى الله عليه وسلم العلم خليل
المؤمن والحلم وزيره والعقل دليله والعمل قايده والرفق
والده والبر اخوه والصبر امير جنوده فناهيك بشرف
خصلة يتامر على هذه الخصال وليس المراد تفضيل الصبر
على العقل والعلم وما ذكر معهما من الخصايص ولكن
المراد الثبات على هذه الخصايص انما يكون بالصبر لان
معنى الصبر الثبات والحبس والامساك فمن اتصف بشي
من هذه الخصال ولم يتصف بالصبر عليه والملازمة
له كان عند مزايلته كمن لم يتصف به فالصبر لهذه
الخصايص الشريفة ضابط ضبط الامير جنوده عن
مزايلة مراكزها والاخلال بما نصبت له من دفاع وامتناع
منثور ومنظوم من الحكم في الصبر

روي ان امير المؤمنين عليا رضوان الله عليه قال الصبر
مطية لا تكبوا وقيل مما كتب في الصحيفة الصفرا
المعلقة في اعظم هياكل الفرس كما ان الحديد يعشق المغناطيس
فكذلك الظفر يعشق الصبر فاصبر تظفر واعلم
رحمك الله ان ظل الصبر ظليل ومضلة ذليل وان الصبر
درج تفضي من حرج الى الفرج وان اقل فوايد الصبر على
المكروه تنغيص لذة العدو المتشفي الشامت والصبر
على الحقيقة صبران صبر العامة وهو عمل اشباح وصبر
الخاصة وهو عمل ارواح وقد احكم هذا المعنى حبيب بن اوس
فقال
لباس سرد الصبر مدرع له في الحادث الجلد ادراع اللام
والصبر بالارواح يعلم فضله صبر الملوك وليس بالاجسام
اللام الدروع جمع لامة وهي الدرع وقال حبيب ايضا
واذا رايت اسى امرئ او صبره يوما فقد ابصرت صورة ايه
وقال نهشل بن حري
ويوما كان المصطلين بحره وان لم يكن نارا قياما على الجمر

صبرنا له حتى يبوخ وإنما تفرج أيام الكريهة بالصبر

قوله يبوخ أي يخمد هما سواء وقال بعض المتأخرين

على قدر فضل المرء تأتي خطوبه ويعرف عند الصبر فيما يصيبه
ومن قل فيما يتقيه اصطباره فقد قل فيما يرتجيه نصيبه

وقال آخر

من لزم الصبر على حاله كان على أيامه بالخيار

وقال عمرو ذو الكلب

ومقعد كربة قد كنت منه مكان الإصبعين من القبال
صبرت له وكنت أخا حفاظ إذا خام اللئام عن النزال
فهذا والمنية من ورائي ستطرقني بها إحدى الليالي

قال صاحب الكتاب عفا الله عنه هذا أنموذج من القول في الصبر على الجملة وهو يتنوع أنواعا والنوع اللائق بكتابي هذا منهما هو صبر الملوك وصبر الملوك عبارة عن ثلاث قوى القوة الأولى قوة الحلم وثمرتها عمارة المملكة والقوة الثالثة قوة الشجاعة وثمرتها في الملوك الثبات وثمرتها في حماة المملكة من المقاتلة الإقدام في المعارك ولا يراد ذلك من الملك بل هو تهور وطيش في

الغالب

الغالب وإنما المراد منهم الثبات حتى يكون للمقاتلة قطبا يدورون عليه ومعقلا يلجؤون إليه وهذا ما دام بحضرته من يذب عنه ممن يثق به ويرضى دفاعه ولقد ذكر الفرس أن فيلا اغتلم فدخل قصر كسرى أنوشروان والفيل إذا اغتلم أنكر سائسه ولم يثبت له شيء إلا أتى عليه قالوا وإن ذلك الفيل قصد بيتا كان فيه أنوشروان ومعه جماعة من كفاة أصحابه ففروا وثبت كسرى على سريره وثبت معه رجل كان واثقا ببسالته فقام ذلك الرجل أمام سرير كسرى وبيده طبرزين وقصده الفيل فثبت له حتى غشيه فضربه بالطبرزين على فنطيسته ضربة عظم منها لهامته فكر الفيل راجعا وكسرى في هذا كله لم يتحلحل عن مجلسه ولا تغيرت هيئته ولا فارقته الهيبة فهذه غاية الشجاعة المطلوبة من الملك فإذا لم يكن بحضرته من يثق بدفعه عنه حسن منه حينئذ أن يذب عن نفسه إما بالإقدام إن غلب على نفسه الظفر وإما بالانهزام إن أتاه ما لا قبل له به وأشفق من عطب

رعيته بهلكه ومن اقــــدام الملوك ما حكي ان موسى
الهادي كان يوما في بستان له على حمار ولا سلاح معه وبحضرته
جماعة من اهل بيته وبطانته فدخل عليه حاجبه فاخبره عن رجل
من الخوارج كان ذا باس ونكاية قد ظفر به بعض القواد وانه
بالباب فامر الهادي بادخال الخارجي فادخل بين رجلين قد
قبضا على يديه فلما بصر الخارجي بالهادي جذب يديه
من الرجلين واخترط سيف احدهما وقصد الهادي ففر كل
من كان بحضرة الهادي من اهله وبطانته وبقي وحده فثبت
على حماره بمكانه ذلك حتى دنا الخارجي منه فهم ان يعلوه
بالسيف فقال الهادي اضرب عنقه يا غلام فالتفت
الخارجي ووثب الهادي عن سرجه فاذا هو على الخارجي
فانتزع السيف من يده فذبحه به ثم عاد الى ظهر حماره
من فوره وتراجع عليه خاصته يتسللون وقد ملئوا منه
رعبا وحياء فما خاطبهم في ذلك بكلمة ولم يكن بعد
ذلك يفارقه سلاحه ولا يركب الا جوادا من الخيل
قــــال صاحب الكتاب عفا الله عنه قد جلا علينا هذا الخبر

ما ايد به موسى الهادي من ثبات الجاش واصالة الراي وشدة
الايد وشجاعة القلب ووفور العلم وقوة البدن فرحمة الله
عليه لن روضة رايقه ورياضة فايقه
قيل ما معناه واللفظ لصاحب الكتاب ذكرت لكسرى انو
شروان ارض من التخوم الهندية تشارف اقصى بلاده فوصفت
له بحسن المنظر وطيب الهوى والماء وكثرة الاتاوة
وزكاة الاثمار وكثرة العماير وحصانة المعاقل ووصف
له اهل تلك الارض بعظم الجسوم وبلادة الفهوم وشجاعة
النفوس وقوة الابدان والصبر على العمارة والملازمة للطاعة
ولين المقادة فشرهت نفس كسرى الى تملك تلك الارض
والتكثر باهلها وكان يقال الشره اعرق الخصال في
اللوم ابوه الذي يولده والبغي ابنه الذي يليه والطمع
شقيقه والذل رفيقه وكان يقال الشره شرة ينتجها طمع
فصــل فلما طمحت نفس انوشروان الى تملك تلك
الارض سال عن ملكها فقيل له فاخبر انه عظيم من الاراكنه
وانه شاب منقاد لشهوته مقبل على لذته الا انه شاك الصراط

من العدل لا يجور ووارد منهل من البذل لا يغور الى
رافه برعيته قد اشربت قلوبهم وده وصرفت امالهم
الى ما عنده فندب له كسرى رجلا من ثقات اصحابه كان قد
اقتبس من اداب الملوك وتفقه فى سياساتهم وكان ذا دها
وفكر وحزامه ومكر فامره بتامل مسالك تلك الارض
والبحث عن ثغورها ومعاقلها وتفقد اخلاق ملكها واهلها
وكتب معه كتابا الى ذلك الاركن يدعوه الى الدخول
فى طاعته ويحذره التعرض لصولته بمخالفته فانطلق
ذلك الاسوار حتى قدم على الاركن فاحسن نزله وبره
واكرمه ومنعه التصرف وعمى عليه الاخبار وبالغ فى
قبضه وقبض الناس عنه ولم يستدع كتابه ولا سأله عما
قدم له وندب لاختبار حاله وتمطل وبه رجلا من دهاة
اصحابه وامره بالتجسس على انبائه والتلطف فى مخاتلته
ومراخاته فانطلق ذلك الجاسوس فاكترى حانوتا
بحذى دار الرسول وملأه من الخمار وجلس يبيعه
وكان لذلك الرسول غلام يخف فى حوايجه فجعل الجاسوس

48 كلما راى ذلك الغلام هش له واكرمه واعرض عليه
العون فى ما ارابه الى ان انس الغلام به فكان يجلس اليه
ويستغنى به ولبث بذلك مدة ثم قال له يوما من تكون ومن
لك فى هذه الدار التى تدخلها فقال الغلام صحبتنى منذ
كذا وكذا وانت لا تعرف من انا قال الجاسوس وما علي
قال انا غلام رسول كسرى وسيدي فى هذه الدار قال
الجاسوس من كسرى قال الغلام كسرى ملك بابل قال
الجاسوس قد عرفت حين ذكرت بابل كانى كنت فى صباي
اجيرا لرجل بابلي ثم امسك عنه اياما لا يسأله عن شي وكان
يقال التنقير تنفير وقيل التنقيب يريب الاريب
وقيل من سرع الى الامانه فلا لوم على من اتهمه بالاضاعه
ومن خطب المشاركه فى السر فلا لوم على من اتهمه بالاذاعه
ومن نصح قبل ان يستنصح فلا لوم على من اتهمه بالخداع ومن
عني بكشف ما ستر عنه فلا لوم على من اتهمه بخبث الطباع
قبل ثم ان الجاسوس قال للغلام يوما اذا خرج مولاك
فأرنيه قال الغلام مولاي لا يخرج قال الجاسوس امريض هو

قال الغلام لا ولكن ملكم حظر عليه الجلوس الخروج
فبكى الجاسوس فقال له الغلام ما الذي ابكاك قال الرحمه
لمولاك مما هو فيه لاني ابتليت بمثله وذلك اني حبست مرة
في دين كان علي فلولا ان الله من علي برجل كان محبوسا معي
يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك وتسليه
قال الغلام اني لا اعرف هذا قال الجاسوس اتريد ان ادلك
على امر ليستبدل فيه راحة ولك به عنده حظوه قال نعم
قال طف في المدينه واجلس الى المتحدثين فاذا خلوت
بسيدك في ليله فقل له رايت كذا وسمعت كذا
ففعل الغلام ذلك فسر به سيده وقال له اني لك هذا
قال اهتديت اليه قال سيده كلا ليس ذلك في
قوى عقلك فاخبرني من دلك عليه قال الغلام
دلني عليه جار لنا بايع فخار ما رايت ابله منه ولا
اجهل قال سيده ما الذي دلك على جهله وبلهه
قال انه صحبني لكنز من شهر ولا يدري من انا
ولا من سيدي وذكرت له كنزي فلم يعرفه فلما سمع الرسول

ذلك استراب به وحدس [illegible] الراي من افراط
تجاهله وتبالهه وكان [illegible] لكن فرط ومن
احتفل في غلوه فقعدا [illegible] فقال
ما دل على الاحتواء الى [illegible] التلع المعقول
لسماع المقول وكان [illegible] نابيا اذناه لم
تعرفك شاهدا عينا [illegible] الرسول مقاله
عبدك قال له اذا كان [illegible] العلى استرح
الى رويته واستمع [illegible] اصبح الغلام غدا
على الجاسوس فاعلمه [illegible] به فتمنع
الجاسوس ثم اجاب [illegible] بمسير الرسول
على الجاسوس حقق [illegible] اكرمه ونطاهر
له بغباوه وفدامه لا [illegible] ان يواصل زيارته
وامر غلامه ان [illegible] نمه في ليله
ونفاذه فلبث بذلك [illegible] ولما ظن الجاسوس
انه قد حصل ما اراد [illegible] الرسول ذهب الى الاركن
فاخبره انه لك [illegible] الا غنا عنده الس

قال الغلام لا ولكن ملكم حظر عليه الجلوس الخروج
فبكى الجاسوس فقال له الغلام ما الذي ابكاك قال ارحمه
لمولاك مما هو فيه لاني ابتليت بمثله وذلك اني حبست مرة
في دين كان علي فلولا ان الله من علي برجل كان يجوسنا معي
يسليني بحديثه وانسه لهلكت غما فهل تحدث مولاك وتسليه
قال الغلام اني لا اعرف هذا قال الجاسوس اتريد ان ادلك
على امر ليستبدل فيه راحة ولك به عنده حظوه قال نعم
قال طف في المدينه واجلس الى المتحدثين فاذا خلوت
بسيدك في ليله فقل له رايت كذا وسمعت كذا
ففعل الغلام ذلك فسر به سيده وقال له اني لك هذا
قال اهتديت اليه قال سيده كلا ليس ذالك في
قوى عقلك فاخبرني من دلك عليه قال الغلام
دلني عليه جار لنا بايع فخار ما رايت ابله منه ولا
اجهل قال سيده ما الذي دلك على جهله وبلهه
قال انه صحبني لكنز من شهر ولا يدري من انا
ولا من سيدي وذكرت له كنزي فلم يعرفه فلما سمع الرسول

ذلك استراب به وحدس انه يتجسس لما راى من افراط
تجاهله وتبالهه وكان يقال من افرط فهو كمن فرط ومن
احتفل في غلوه فقد استفل عن علوه وكان يقال
ما دل على الاحوال كالاقوال ولا هتك قناع المعقول
كسماع المقول وكان يقال من لم يعرفك غايبا اذناه لم
يعرفك شاهدا عيناه ل قيل فلما سمع الرسول مقاله
عبده قال له اذا كان غدا فجيني بهذا الرجل لعلي استريح
الى رؤيته واستمتع من حديثه فلما اصبح الغلام غدا
على الجاسوس فاعلمه برغبة مولاه في لقايه فتمنع
الجاسوس ثم اجاب الى ذلك فلما وقع بصر الرسول
على الجاسوس حقق ما ظنه فقربه واكرمه ونظاهر
له بغباوة وقدامه لا مزيد عليهما وساله ان يواصل زيارته
وامر غلامه ان يستكفيه امره كله واخصه في ليله
ونهاره فلبث بذلك مده متراخيه ولما ظن الجاسوس
انه قد حصل ما اراد علمه من امر الرسول ذهب الى الاركن
فاخبره ان ذلك الرسول غبي قدم لا غنا عنده الا

من انه ذو نجدة وقوة وشيبة وتفسر انته فوثق الاركن

بذلك وتمثل الرسول في الصورة التي يثله بها الجاسوس

عنده وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر ولا تقتك

لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله

الصدق والكذب فالقضا عليه باحدهما قبل الامتحان

جوز وكان يقال انما يقضي بصدق الخبر

عصمه المخبر لا صدقه وشرح ذلك ان المخبر الصادق

اذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة

للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما نفيد سلامته من

التحريف فيما نقله ولا نفيد عصمه ادراكه فيما ادركه

فقد ينظر الصادق المغفل الى الشمس فيخبر بانها

غير سايرة وينظر الى القمر ودونه مقطعات السحاب

فيخبر بانه ادرك سرعة سيره وينظر الى البر من

سفينة جارية فيزعم ان البر يجري وينظر افعال

المشعوذ فيخبر بالاشيا على خلاف ما هي عليه

ويسمع كلام الببغا المحجوب عن بصره فيخبر عن شايق

من انه ذو نجدة وفروسية ونفس ابية فوثق الاركن
بذلك ويمثل الرسول في الصورة التي مثله بها الجاسوس
عنده وكان يقال لا يكن سمعك لاول مخبر ولا تقبل
لاول مجلس وكان يقال اذا كان الخبر يدخله
الصدق والكذب فالقضا عليه باحدهما قبل الامتحان
جور وكان يقال انما يقضى بصدق الخبر
عصمة المخبر لا صدقه وشرح ذلك ان المخبر الصادق
اذا لم يكن معصوما فهو عرضة للتلبيس وفرصة
للتدليس وكون المخبر ثقة صدوقا انما تفيد سلامته من
التحريف فيما نقله ولا تفيد عصمة ادراكه فيما ادركه
فقد ينظر الصادق المغفل الى الشمس فيخبر بانها
غير سايرة وينظر الى القمر ودونه مقطعات السحاب
فيخبر بانه ادرك سرعة سيره وينظر الى البر من
سفينة جارية فيزعم ان البر يجري وينظر افعال
المشعوذ فيخبر بالاشيا على خلاف ما هي عليه
ويسمع كلام الببغا المحجوب عن بصره فيخبر عن سابق

حمار فلم يؤت من اجل التحريف لكن من اجل الادراك ه
قيل فلما شكر الاركن الى خبر جاسوسه استدعا رسول
كسرى مكرما فاحضره واخذ منه كتابه واجمل خطابه واباحه
حباه واباح له الركوب واذن لقاصديه في زيارته وتابع
الطافه وبره فلبث بذلك عاما ثم استحضره واعطاه
جواب كسرى وسلم اليه هدية نفيسة منها سيف طوله
خمسة اشبار ولونه كلون النحاس الاحمر يعمل في الحديد
عمل غيره من السيوف في الرصاص ومصحفة من الياقوت
الازرق تسع منا من الطعام وكاسا من الزمرد البحري
تسع رطلا من الشراب وقنديلا من المها فيه ياقوته
حمرا كبيضة الحمامة اذا علق ليلا في بيت فيه
مصباح القى شعاع الياقوته على الالوان القابلة للحمرة
فلا يشك الراي في حمرتها والفخرة وزيتا وطيب
كثير ودروع ودرق وغير ذلك واجزل صلة
الرسول وصرفه الى مرسله مكرما ولما قدم رسول
كسرى عليه ساله عما ندبه لتعرفه فاخبر بطيب تلك

الارض وفضايل خصايصها وكرم مزاياها وحصانه ثغورها
وانه لم تجد لها عوره نوتا منها الاغراره سكانها فان عقولهم
منهيئه لقبول الخدع محجوبه عن النظر في العواقب وان
هذا هو موجب حسن طاعتهم لمن الفوا طاعته فلو ندب اليهم
رجال يحسنون نصب الدعوه لاستمالوهم وصرفوا عن
ملكهم طاعتهم ثم لم تقم لملكهم بعد ذلك قايمه لانهم
اعضاده الذين يصولون بهم فهم في الرخاء ثمار مجتناه
وفي الشده سيوف منتضاه فنظر كسرى في كتاب
الاركن فوجده قد خاطبه فيه بالاخوه واعترف
بفضيلته وتملقه ورغب اليه في المسالمه والموادعه
فاستشار انوشروان وزراءه واعلمهم ان نفسه
لا تطيب لمسالمته فاختلفوا عليه واجمع رايه على
رد الهديه اليه ففعل ثم انه قدم لاستفسا د رعيه
ذلك الاركن رجالا لا يحسنون نصب الدعوات
وقلب الدول وامدهم بالاموال وازاح عللهم ونصب
لهم مثالا يحذون عليه فنفذوا لما امرهم به وتفرقوا في

تلك المملكه واعمل كل منهم قوته فيما انتدبهم له فاحكموا
امرهم في عامين وبثوا الدعوه في مدينه الاركن وغيرها
من قراه ورساتيقه ومعاقله وثغوره وكتبوا بذلك الى
كسرى فامر كسرى المرزبان الذي يلي تلك الارض بالتجهز
اليه وذلك ان ملك بابل كان مصروفا الى اربعه مرازبه
في جهات المملكه الاربعه مع كل مرزبان منهم خمسون
الف مقاتل فلما اخذ ذلك المرزبان في الاعداد والحشد الى
الاركن الهندي عيونه بذلك فعلم انه قاصده ونجم النفاق
ببلاده وهمس الناس به فانتبه الاركن من غفلته فكشف
عن الامر فوقف على حقيقته وكان يقال اكثر
ما يتوثب طلاب انقلاب الدول على ملك صار الملك اليه
بوراثه فتغذى باللذات وركن الى الراحات ظنا منه
ان التملك وصف ملازم وان سعي اهل الجد من السلف
ينسحب على ايام دوله الخلف في غيبه سعي مستانف
وكان امر مملكته يدور على خمسه رجال اربعه منهم
هم جلساوه ووزراوه وسماره والاخر رييس الزمازمه

الذين ياخذون عنه الذين تجمعهم الاركن واطلعهم
على ما انتهى اليه من فساد رعيته وتجهيز انوشروان الى
جهته وامرهم بالنظر في ذلك فجلسوا للاداره الراي فقال
احد الاربعه الوزرا الراي ان يستصلح الملك رعيته فيملا
ايديها رغبات وقلوبها امالا فان العدو اذا علم ذلك كان حريا
ان يجبن عن الاقدام وان قدم لقيناه بكلمة مجتمعه وقلوب سليمه
فقال رئيس الزمازمه هذا لو كان فساد الرعيه اوجبه هضم
جور وعسف سيره من الحكم الفساد بازاحه علته
واما فسادها ولا فانما اورده عليهم الجهل بمواقع السرب
والبطر لترادف النعم وكان يقال اتبعه اذا افسدهم
البطر لم تردهم التكرمه الا فسادا الولد والزوجه والخادم
والرعيه وضربوا لذلك مثلا القوى الاربع المزدوله اذا
هاجت لتتعدى حدود المصلحه وهي الغضب اذا تعدى
حد الشجاعه وحد الانفه من الرذايل والشهوه اذا
تعدت حد راحه العقل من كد اكتساب الفضايل
والحرص اذا تعدى حد الكفايه والكسل اذا تعدى الى

راحه

راحه الجسم من كد اكتساب المصالح فان هذه القوى
الاربع اذا تعدت هذه الحدود لم تردها المداراه والرفق
الا هيجانا وطغيانا وانما تعالج بحسم موادها قال
الملك صدق الحكيم فقال الاخر الراي ان نضرب من صلح
من الرعيه من فسد منها حتى تستوسق ثم نلقى عدونا بمن
لا نخاف دغله فقال رئيس الزمازمه هذا انفع لعدوك من
جيشه وادعى الى طاعته من دعاته وقد علمنا ان رعيتنا
لا تخلوا من عاقل يحزوم لم يمنعه من سل سيفه الا الخوف
واذا فعل الملك ما اشرت به فقد بالحجه سل سيفه واذا
سله لم يسله لنا بل علينا وتبعه الجمهور لما طبعوا عليه
من حسد الملوك والتعصب للضعفاء ثم في ذلك اخراج
السوقه واصحاب التجاره والصناعه والمهنه عن طبقتهم
الى طبقه الجند وليس في قواهم ما في قوى الجند من بذل
النفوس في تشييد عز الملوك ولم يزل قدما الملوك
يلزمون كل طبقه تركا الغرض الترقي عنها وقد قال
الحكما اربعه من استقبلها بالعنف والردع في

اربعه احوال هلك بها الملك في حال غضبه والسيل في
حال صدمته وهجومه والفيل في حال غلمته والرعيه
في حال هيجها وموجها وقالوا اشبه شي تردع العامه
عند هيجها معاناه الجدري في حال انبعاثه الى سطح الجسد
بالاطليه الرادعه فقال الملك صدق الحكيم ثم قال
وزير ثالث الراي ان نطلب اولا تعييق من فسدت طاعته
بالثقات الامناء من الجواسيس واذا تعينوا عوملوا بما
تقتضيه احوالهم من قله او كثره وضعه او نباهه
فقال رئيس الزمازمه البحث الان عن هذا خطر لانه لا
بد ان يفطن له واذا فطن له خاف المريب فحذر فاما
ان يتحرك الى جهه عدونا فيخبره بالنصايح والدلالات
على العورات ثم نقاتل معه على بصيره ليبيت للعدو
لانه يطلب العود الى وطنه واهله وماله واما ان
لا ينفصل عنا ولا يرهبنا بل يكاشفنا وينكر علينا
باشكاله من الرعيه فينصره علينا وان لم يكن على مثل
رايه وفي الرعيه من احقده الحرمان ومن احقده

التاديب وجمهور السفله يبغضون الاجناد فانهم
لم يعدموا منهم اذى واستطاله فان شوحوا افسدوا
الملك وان قصد المسي بالعقوبه خاف البري ان تتعدى
العقوبه اليه فانحاز الى المسي بعله المشاركه له ولو عاداه
كما ان الكلبين اذا تهارشا فرايا ذيبا تركا تهارشهما
واجتمعا على الذيب وان كان متحققا في الخلق الكلبي
لكن يعاديانه ويصطلحان عند التعاون عليه
نظرا الى خصيصي توحشه وانفته وجراته وكذلك
العامي لا ينظر الى الملك من حيث تحققه في الخلق
الانساني بل ينظر اليه من حيث تفرده والفته وعلو
همته وجراته وشجاعته فينافره ويالف العامي
الذي يشاكله في جهله وغير ذلك من اخلاقه ولا
تخلو الرعيه غالبا من ناسك احمق يظن انه يعصب
للدين فيحمله حمقه وجهله على الخروج من واجب
الطاعه فيكون امره في الرعيه انفذ من امر الملك
في الجند وقد قال الحكما ثلثه ان كاشفتهم

بامتحان ما عندهم فى مثل هذه الاحوال كنت جديرا بان يخسرهم المودب
لك اذا امتحنت ما عنده من العلم فى حال تاديبك واستعمالك
وصديقك اذا امتحنت ما عنده من البذل فى حال فاقتك
واختلالك وامراتك اذا امتحنت ما عندها من الحب فى
حال تجاوزنك جدا اى تمالك وضربوا لذلك مثلا
امتحان قوى البنا فيهن من الامراض بالاطعمه الغليظه
وامتحان الرعيه فى هذه الحال اشبه شى بما ذكروا
وقالوا ايضا ان للدوله امراضا يخاف عليها ان يموت بها
اخطرها اربعه ما يعرض للملك من الكبر وما
يعرض له من الغضب فان دولته فى هاتين الحالتين
تضطرب لخروجه عن حدود السياسه والثالثه
ما يعرض له من الحرص فانه اذا حرص عسف وظلم
والرابع هيج الرعيه فقال الملك صدق الحكما
فقال الوزير الرابع وكان اوسعهم علما وافضلهم
رايا انى واصحابى كاصابع الراحه فى حاجه بعضها
الى بعض وقوه بعضها ببعض وكل منا مستمد من نور

عنى

عقل الملك بنظره الينا استمداد الدرارى من نور الشمس
وانى ارى غير ما راه اصحابى لا منتفعا عليهم ولا عائبا لرايهم لان
القبول والرد الى الملك لا الى غيره فان اذن الملك ذكرته
فقال رئيس الزمازمه ما اولاه بالاصابه فقال الوزرا الثلثه
انه لكذلك فقال الملك قل ايها الوزير الناصح فلك ولاصحابك
عندنا الثقه بكم والكرامه لانكم فى المناصحه لنا والادا الينا
كالحواس الخمس للقلب فسجدوا له ثم رفع راسه فقال
ما معناه ان الرعيه قليله النظر فى العواقب غير متحفظه
من المعاطب وقد دب فيها شر الفساد ومكاشفتها
خطر والظفر بها وهن فى الملك والعدو قوى الطمع
شديد الحرص مستشعر للظفر والنصر ولا يرضيه الا
الغلب ولا مندوحه لنا عن محاربته قال صاحب الكتاب
كان يقال اذا حكم السلاح حكم بالفساد وبالصلاح
والحرب تاخذ وتعطى والمتعرض لها قد يصيب وقد يخطى
لكن السلامه فى السلم الذى لا يجنى على الدين قصما ولا
يجر الى الملك وصما فان امكنت المواداعه بهذين الشرطين

كان المصير اليها حزما ثم قال الوزير ما معناه ان راى الملك ان
يصرف اولا همته الى الاستظهار باتخاذ معقل حريز
يامن فيه على اهله وخاصته وذخاير مملكته ومن حامت
نيته من رعيته فانى اعرف فى مملكته معقلا يطل على
اهل الارض اطلال زحل على الكواكب يدفع عن من حله
الابصار اللامحه والافكار الطامحه وهو مع ذلك الغزير
الموافرات الما وقد كان بعض قدماء سلف الملك اثر
به اثارا محكمه ثم قطع عليه امله الدثور المخترم
القاطع عقود الحياه واولى بالملك ان يتم به شعى سلفه
ثم يودعه ذخايره ويعد للاقامه به استظهارا ثم يلقى
عدوه ان قدم على بلاده فان ظهرت خيانه انصاره اتخاذ
فى من وفى بعهده وهدى لرشده الى ذلك المعقل والزم
نفسه الصبر وانتظر الفرج فسر الملك براى وزيره
للايتمام به فى تدبيره قال صاحب الكتاب انه
قد حسن عندى ان اقدم على بقيه هذا الحديث المانور
مثلا ارغب فى نباهه معانيه وفخامه مبانيه فاقول

لو ان نملين ذكرا وانثى اسم الذكر منهما نميل كانا من نمل
قريه بسبيل مسلوكه لا يكاد نملها يخلوا من كثيره وعقيره
بموطى السابله فحسن عند نميل وقبيلته ان ينحو لا عينا الى ما هو اسلم
منها فانطلقا يرتادان فانتهيا الى ارض فيحا تكنف واديا
معشبا ذا نبات عميم رجيم وخضر وهشيم فحيته جرف
ونوره يقصر عنه الطرف فاعجبهما وسار نميل فيه
ملتمسا موضعا ينزل به فانتهى الى رابيه عاليه قد حاب
السيل ما عن يمينها وشمالها فاتخذ فى اصلها مسكنا ووطا يا
نفسا عن الانس بالانس وكان يقال من حلى عن قلبه رين
الغفله تبين ان العزله عز له وكان يقال من شهد من سواه
زهد فيما سواه ومن عرف الاله لم يالف الا اياه وكان يقال
انما اعتزل السالون عن الدنيا عشاقها لان اشخاصهم فى ابصارهم
قذى والفاظهم فى اسماعهم اذى ومعاملتهم بالمداراه مذله
ووضيعه ومكاشفتهم بالتصالح وحشه وقطيعه وكان
يقال الاعراض عن الانس بالجنس ثمره غنى النفس ولعل
نميلا ان يسنتم تلك الرابيه فيجد فى اعلاها جحرا فيقتحمه فيرى

ضبا منفردا متجردا فيعجب لانفراده عن الاليف وابتعاده
عن الريف وخلو بيته من المرافق الميسره والاطعمه المدخره
فانه لا يدخر المطعم الا ثلثه اجناس النمل والفار والناس
فلو ان الله سبحانه يخلق لهما الافهام وبيسر عليهما الكلام كما فعل
بهدهد سليمن وضب محمد عليهما الصلاه والسلام لامكن ان
يرحب ابو الحسيل بنميل ثم يساله عن اربه ومنواه وعن
اثره ومنواه فيعلمه باخباره ويحرمه بجواره فيقول الضب
لولا ان ناصح من لم يستنصحه قد يكون مهينا لحكمته معينا
على نقمته لنصحت لك يا نميل فيقول نميل ما احوجني الى
نصحك فيقول ابو الحسيل انه كان يقال لا تخطب امراه
حتى تسال عن منصبها وعن خلقها وادبها ولا تسلك سبيلا
الا مع خبير بسهلها وحزنها عليم بخوفها وامنها ولا
تتحول الى بلده حتى تسال عن مرافقها وسيره سلطانها
وقوه عدوها وكان يقال انظر الى المنتصح فان اتاك
بما يضر غيرك ولا ينفعك فاحذره فانه شرير وان
اتاك بما يضر غيرك وينفعك فاعلم انه طامع وان اتاك بما لا

يضر غيرك وينفعك فاصغ اليه وعول عليه وكان 56
يقال اخصص بالمشاوره ذوي الحنكه والتجربه من
طبقك فان من ليس من طبقك يخرجك برايه عن حدك ويبني
وبينك فما سببه صناعته وهي احتفار الحجره غير اني
اعرف في علمها وارسخ في حكمها ولا امر ما اخترت حزن
هذه الرابيه على سهلها واثرت علوها على سفلها وانا ابن
بجده هذه الارض الخبير بها وقد قيل على وجه الدهر قتلت
ارض جاهلها وقتل ارضا خابرها فاقبل راي لا طامع
ولا خادع وازهد في منزلك الذي عمرته بالرغبه وبالثقه
وعامله بالمقت لا بالمقه لئلا يكون كالنايم في الظل الممتد
في صدر النهار فيوشك ان توقظه الشمس بحرها فلا يجد
للظل عينا ولا اثرا واعزه ناصحا لك المشفق عليك من عقله
لئلا تكون كمن يحاول استقامه ظل العود للعوج واذا
سمع مقاله ابو الحسيل امكن الا يصادف منه قبولا
ولا يجعل لها هواه الى فكرته دليلا ولا سبيلا ويميل الى
الرفاهيه ويشق عليه الانتقال الى اعلى الرابيه شبها عن